

الدَّيْمُ المَصْبِيَّة

قَصَّة

بقلم

عبد الجبار



PJ

7840

.A2887

A9

1961

c.1

١٩٦١

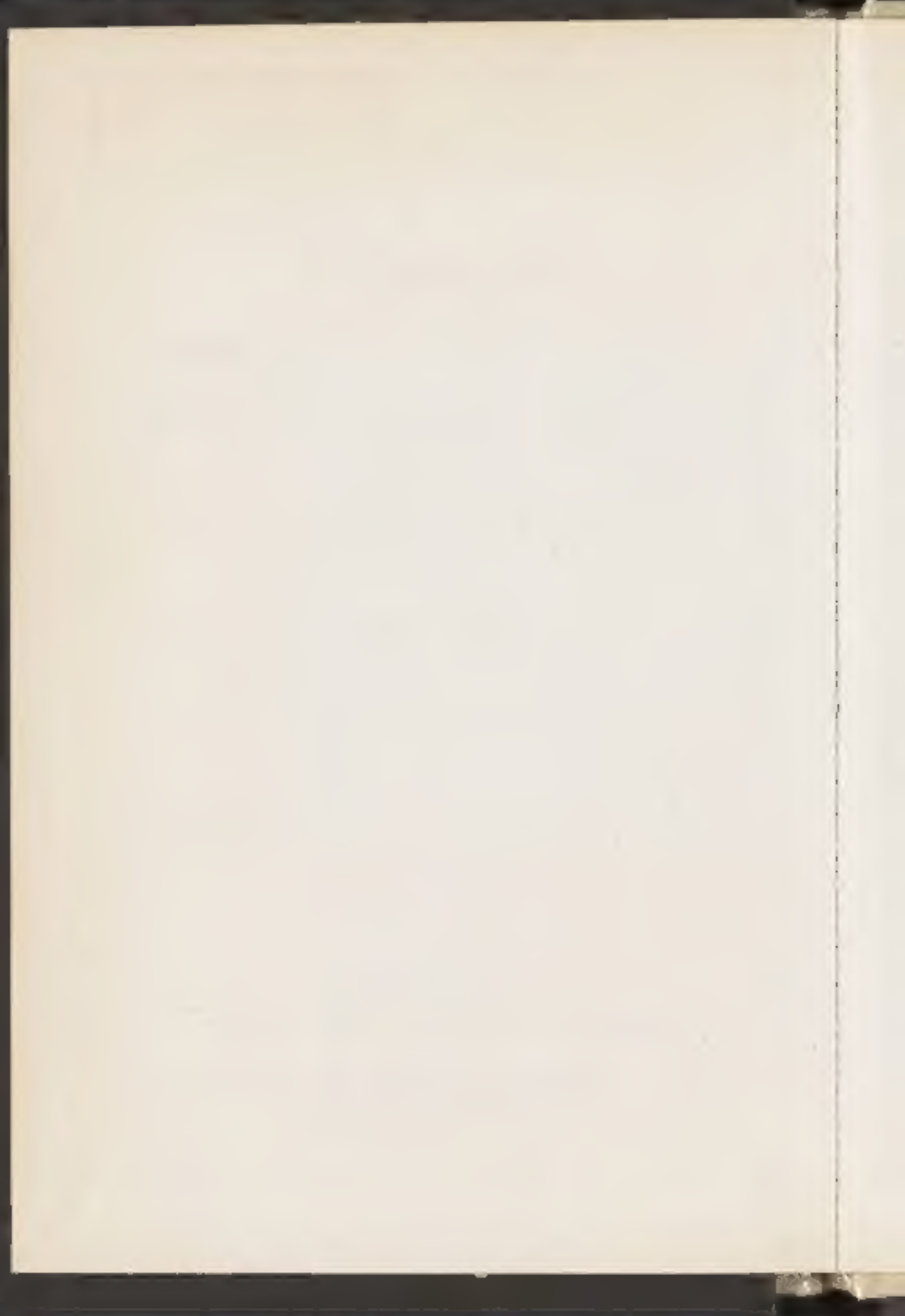
BOBST LIBRARY

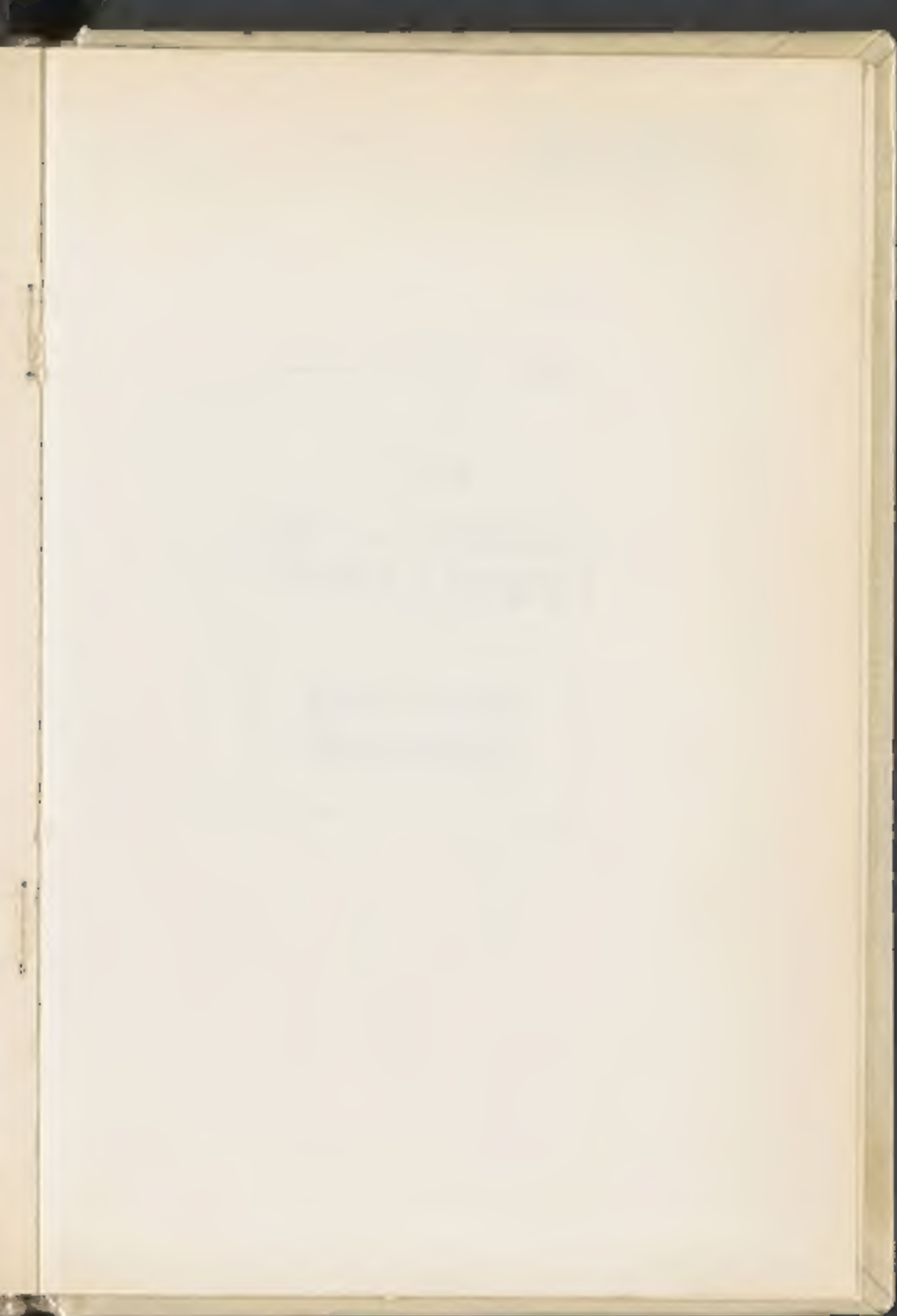


3 1142 01517 3100

**Elmer Holmes
Bobst Library**

**New York
University**





Jābir, Shākir

al-Ayyām al-muḏī'ah.

الايام المضيئة

مع تحيات

اتحاد الأدباء العراقيين

قصة

بقلم

شاكر جابر

مطبعة الجمهورية • بغداد

الغلاف - تصميم وطبع المؤسسة العراقية للدعاية والطباعة

NEW YORK UNIVERSITY LIBRARIES
NEAR EAST LIBRARY

Near End

~~PJ~~

~~7840~~

~~AB~~

~~AG~~

~~C.I~~

PJ

7840

A2887

A 9

1961

C.I

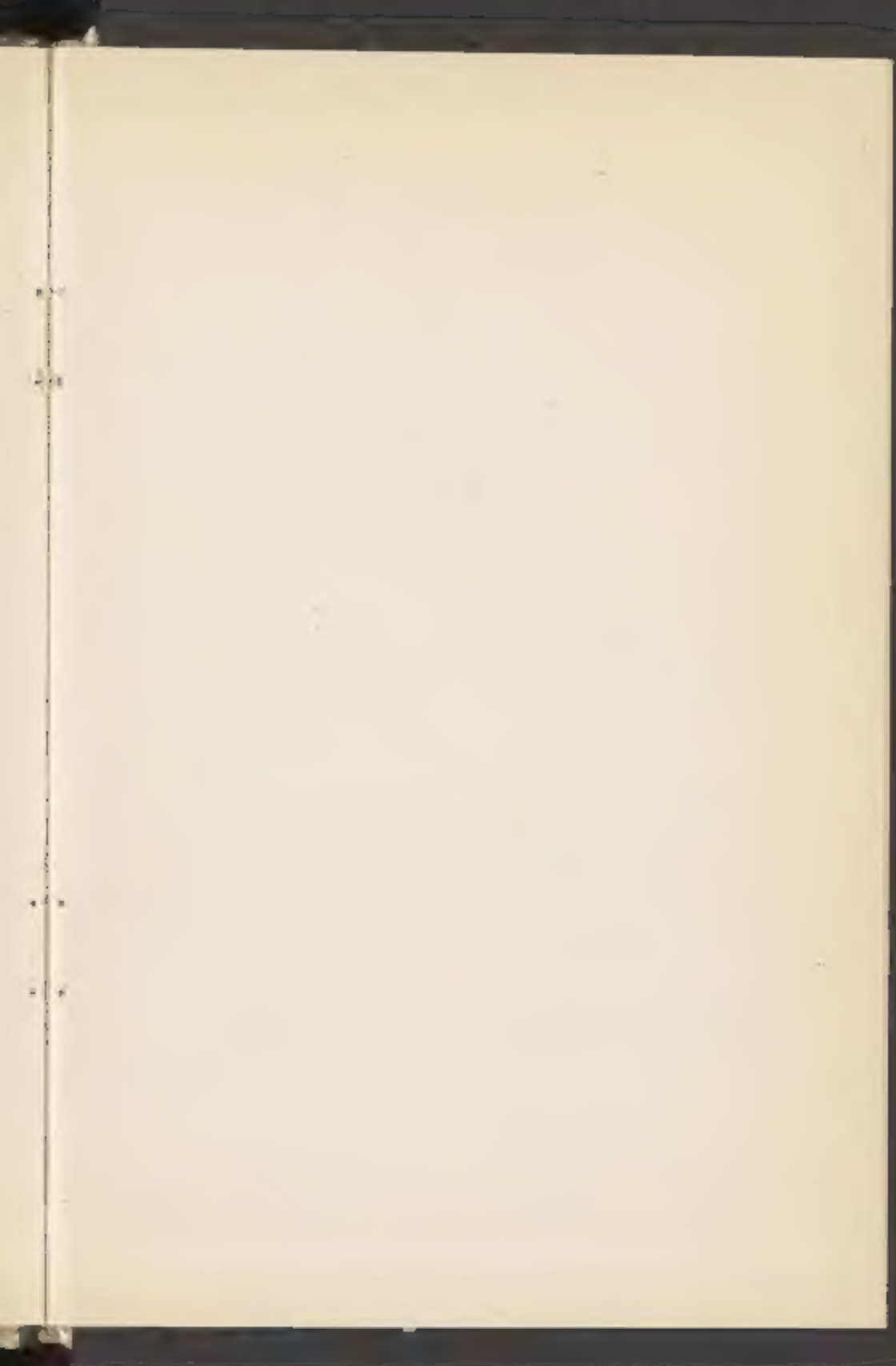
الأيام المضيئة

قصة

كتبت سنة

١٩٥٥

« أن أجمل الأيام في حياتنا هي
تلك التي تبقى نضيء في جوانب نفوسنا
رغم ظلام المهوم الذي طالما يخيم عليها
فلا نعود نرى غير اشباح الخوف والقلق
والأسى . أيامنا المضيئة تلك هي خسر
ما لدينا ولعل من الواجب على الإنسان
أن يعمل قدر استطاعته على أن لا يدع
المصاييح خائبة فكل يوم يمضي يترك
شامعاً يظل يخترق الزمن وينسلط على
طاقاتنا فتفتح عن رغبة وحسب للحياة »



في القصة العراقية

بقلم الدكتور داود سلوم

نشأت القصة العراقية الحديثة بمفهومها الحديث متأخرة جداً فقد بدأ أحمد السيد - وليس بكثير من النجاح - بنشر قصصه القصيرة وقصصه المتوسطة الطول بعد ١٩٢٠ فنشر (جلال خالد) و (في سماع من الزمن) وغيرهما. وتعد الكتاب بعد ذلك فجاوزوا في الأربعين سنة الأخيرة حوالي واحداً وعشرين كاتباً منهم أنور شاؤول وإبراهيم حفي محمد وذو النون أيوب وجعفر الحلبي وبمقرب بلول والدكتور صفاء خلوصي وعبد الحق فاضل وخليل رشيد وشالوم درويش المعامي وعبد الملك نوري وشاكر خصباك وعبدالله نيازي وادمون صبري وعدد آخر من النقصيين.

وكما تتكاثر عددهم فقد اختلف اتجاهم في العمق والجودة والانجاء وكان بعض الاتناج ما التزم فيه كتابه أسلوباً عربياً أصيلاً ومنهم من جدد وأقتبس في حواراته أسلوباً عاماً. ومنهم من أخذ من الأدب مدرسة للتعليم الياسي ومنيراً للتوجيه العقائدي أما الآخرون فقد اكتفوا بأن يكون الأديب كالفنان الذي يصور ما يقع بصره عليه فبعض أدباء العراق كما قال ستدال مؤلف رواية (الأسود والأحمر) المرأة التي يحملها إنسان على ظهره تصورها يعكس عليها من مناظر سواء كانت حنة أو قبيحة وكان في العراق للمدرستين انصار يعرفهم من قراء القصة العراقية وتبع كتابها.

ولم يكن نصيب (الرواية) في العراق من النجاح كصيب القصة القصيرة. فالرواية العراقية لم تكن بعد. وإن النماذج التي بأيدينا هي كل ما طبع منها وهي ثلاثة

او اربعة منها (الدكتور ابراهيم والارض والبد والماء) للاستاذ ذو النون أيوب
(في قرى الجن والصايغ) لجمفر الخليلي ومن هذه الروايات الاربعة يدور بها العمق والسعة
أقصد بهذا تعدد الابطال والوجوه والتعبير عن وجهات نظر البطل المختلفة وتعريفنا عليه
في الخارج والداخل في مظاهره الخارجية وفي شخصيته الداخلية . ما يبدو عليه امام الناس
وما عليه مع نفسه اماذا يقول وماذا يفكر . كل هذه العوامل مرتبطة ومتكاتفه ومتماونة
تخلق رواية تقرأ ويمكن لك ان تناقش ابطالها اما ان يكون الابطال اشبه بابطال القصص
الشمسي لا يثيرون فيك اهتماماً كثيراً أكثر من اهتمام عابر فهو لاء ولا شك ابطال مبتون
ينساهم القاري سريماً .

واعطاني صديقي شاكرك جابر اثره الأول (الأيام المضببة) كي أقرأه وقرأت الاثر
وأصعبت به وطالبت منه ان يقدمه للطبع . وكان شاكرك كثير التردد لأنه متواضع خجول
يرى ان في مجهوده شيئاً لم يكتمل بعد وانا أجد فيه شيئاً ناضجاً والاحت عليه واجابني اخيراً
لهذا الطلب فالحمد لله على ذلك .

فالقاري المراقبي سيتمكن ان يمسك هذا الاثر بيده ويقول بعد ان يقرأها ان
هذا الاثر عراقي حقاً . انها لاشك رواية ناجحة .

سوف تجد في هذه الرواية ابطالا مختلفين سوف لن يخيرك المؤلف عنهم شيئاً انما
سوف يتركهم لك يتكلمون فيما بينهم فسوف تحب وتكره آخرين سيكون حبك وكرهك
ناتجاً عما يقولونه او يعملونه وناتجاً عما يدور في اذهانهم ونفوسهم وعن صدقهم ونفاقهم
ليس هذا فقط فقي الرواية وصف للحياة كما هي . يصف لك المؤلف حياة الطلاب في
كلية معينة ويصف لك حياة عائلة في البيت وعلاقة أب قاس بأبن ذكي مرهف
الحس ويصف لك كذلك مشهداً ما اظنه أثار اهتماماً عند أي كاتب من كتاب القصص

الخرافية . يصف لك المؤلف غرق منطقة من مناطق «داد» مندسوات وبعثاً حياً دقيقاً يشير الإعجاب .

أما نهاية القصة فهي من الطرافة . مكان مهم لم يحسم القصة ، الحوارات التقليدية بأن يتزوج البطل العفة ثم يبتلى بمادة أو كما يقول الأكلر .
And they lived happily ever after .
بل يترك معلماً فهو يقودنا إلى لقاء بطلي الرواية الأسايين لقاء يدور فيه حديث قصير ثم يختصان كما يختفي قطارهما وتنتهي القصة . ماذا حدث لهما ؟ هل التقيا ؟ هل تزوجا ؟
فالكاتب تركك تحبس إلى الأبد مثلي . وأب لا فكر كلما تذكرت ذلك الحديث اللذيذ الذي دار بينهما أفكر بالذي حدث ! وهذا سر من أسرار الفن القصصي .

أما أسلوب الكاتب وطريقته في كتابة الرواية فقد اتبع طريقتين قديمة وحديثة .
الطريقة الأولى هي طريقة القرن التاسع عشر التي انتهت إلى الوصف الخارجي للبطل .
كوصف مظهره وشكله ووصف عمله أو غرفته والطريقة الثانية هي طريقة القرن العشرين .
طريقة فرجينيا وولف وجيمس جويس أعني بذلك طريقة الانسداد الذاتي الذي يقوم به بطل الرواية نفسه . فالبطل يتحدث عن نفسه يتحدث عن خواطره يقسول ما يفكر به ويبدو أن المؤلف قد استعان على اتخاذ هذه الطريقة بالكاتب المصريين المحدثين .

أما الحوار الذي وقع في الرواية فهو حوار البينة دون تغير فإذا تكلم الأب في البيت فهناك عامية صريحة .

وإذا تكلم البطل إلى زمقاته في المجتمع فهو حديث متقن بين العامية والفصحى .
فالكاتب أمين في هذه الناحية أشد الأمانة وهذه الطريقة جديدة مستحدثة أيضاً أسماها
الغريون Speaking of Character in Character

أما النزعة الياسية التي تود القهة فأني لا أريد أن انافس الكاتب فيها فالكاتب
قد وصف فترة معينة كانت لها ظروفها وملابساتها. أرجو عذراً للكاتب التوفيق وللرواية
النجاح.

داود سلوم

حين انتهت دراستي الثانوية تفوق لم أكن أعرف للحياة معنى سوى النجاح الذي
 هزت به وكل اللذائذ التي أحترتها نفسي في عهد الطفولة والمراهقة لم تساهل ذلك اليوم
 الذي كنت أفرط سعادتي به أحس كأنني أملؤف بأحديقة ملاك في جنة زاهية بالأحلام .
 كنت أنطلق إلى الحياة بشوق وأنتوي إلى المستقبل بنظائر الأمل فإذا هو مصي كالصبح .
 راه كالربيع . هادي كالأمواج في ليالي الصيف المفضلة . اما صومعي فكانت تضاهل أمام
 قوة أو هامي وظنوني الخنوة . ويوم تلمست الشهادة كانت كل تلك الهمم الصغيرة تدو
 لي وكأنها محصورة في مشور زحاجي وما ان رحلت تسلط عليها أشعة أحلامي السحرية
 حتى بدا لي كأن ما أتمناه قريباً وثيقاً . كانت رعايتي تتوالد بسرعة استثنائية . رغباني
 المخبولة التي كانت تدفعني لأن أريد كل شيء وبسرعة ومن غير اكتراف أو احتمال للفشل .
 أجل الفشل ! هذا الذي تنحصر على صغوره زوارق الأحلام فتفادها أمواج الدموع
 وأعاصير الحشرات . ان أحداً لا يستطيع أن يكتب عن الفشل كأولئك الذين في وجودهم
 جرح لا يصاد له . وأنا لا أكتب لأنني أنشأ فاشل ٠٠٠ أدأ ٠٠٠ رغم أنني فقدت
 الزورق وما فيه والبيت نفسي على صخور الشاطئ الموحش . لكن تكون للحياة قيمة من
 غير الم ٢ تلك الحرارة التي ما تنك بدفع الإنسان إلى الأمام هراً منها ٠٠٠ الألم ٠٠٠
 ان الاحتفاء التي يرنكها الإنسان في مسيرته الكبرى قد يكون تمنها حياته نفسها وقد يكون
 لا قد يكون الثمن ذلك السمعير الدائم الذي يختم وراء رماد الخيبة والندم
 كنت أعظم أن أبي سيعترض رغبتي في اكتمالي الدراسة ببغداد وكنت ورياء في صراع

مشر . لقد تزوج امرأتين وعشنا أنا وأخي من زوجته الأخرى في حيرة وخوف وقلق
ازاء تفكيره الذي سمعته شيخوخة اخذت تحقن عقله ومشاكل كثيراً ما يكون هو سببها في
البيت . كان دخله - وهو معمار - يوفّر لنا عيشاً متوسطاً ولكنه يخاف من المستقبل ولا
ينصوّر فيه سوى الجوع والموت وحين فاقحته بمسألة اكمال الدراسة شرع يب وبلمس
ويخلع على نفسه (أجمل الصقات) لانه تزوج اثنتين ولأن الله لم يقصف عمري أو عمر
أخي لانا نحب له المتاع . كان يبدو وكأنه يرغب أن يموت كل من في البيت ، ورغم
ذلك فقد ظننت أياً ما أرجوه وأتوسل اليه وكذلك لمي وأم أختي أيضاً ولكن شيطان العناد
كان راضاً على تفكيره . لكنني أنا أيضاً أرمت العناد . أبة قوة كانت في ؟ أنني لأعجب
أحياناً كيف استطعت إقناعه ولعل أساليب التي حيرت حتى الشيطان جعلته يبدأ قليلاً في
مساء يوم وبسأني جهاف .

- زين وأبي كلفة ؟

كنت أريد أن أخرج من جوالي ولكنني استعصمت شعاعتي وأجنت :

- كلمة الصبلة

وإذا لم يضحك ويصرخني براحة ثم يكلم نفسه متدحناً - صيدلي ٠٠٠٤ - هو أنني

صيدلي ٠٠٠ - وأبي وأبي الله

ثم عاد وجهه فأنهز وعمرته نظيفة بحبسة وألقت بحوي حانقاً وصرخ بي :

- أولك ؟ عاك ؟ جاك ؟ فزمني سن ٠٠٠ - أي واحد منهم صار صيدلي ؟ ثم

بادى أُمي بيهم .

- تعالي يا حانون ٠٠٠ تعالي شوي المشاي ٠٠٠ وأبي وأبي ٠٠٠ يريد يصير صيدلي

تف ٠٠ - كلب ابن الكلب -

ولكن أُمي لم تنبه إن لم تكن في البيت ساعته ولكن زوجته الأخرى أجابته بقوة .

- يعني شترينه يشتغل ؟ بالعمالة بشين الطين على رأسه ؟ والله حوش ٠٠ وعند

ذاك لم يحتمل فقد فقد صبره وصرح بها :

- اسكني انزل ابوكم وابو الي خلفكم بلا ... كلكم بلا ... الله سلصكم على راسي وما يخلصي منكم غير الموت .

وكان كلما استبد به الغضب يتكلم وكأنه شخص آخر يكفر بالله والانياء ويبغ الناس وبه ويتهنى لو يموت او يموت من يلتقي به في تلك الساعة . وأحياناً كانت ينداء ورجلاه تنبهاه حين يمحز عن الشعر فيكسر أو يطيح الطعام او يمزق الملابس او يضرب أمي او زوجته الأخرى او يلعن رأسه بعنف وفي اليوم التالي يلزم الفراش ويشكو الصداع . وبعد أن كبرت قليلاً ورأى أنني أصلح للصنع والركل حرب ذلك معي مرة ومرتين : وفي ذلك اليوم أيضاً ولكنه كان قليلاً ولا أقول متوحشاً حين ترك الدماء تسيل من أنفي بعد أن ضرب زوجته على وجهها فتورم بعد قليل . كانت أمي في الخارج وحين عادت ورات كل ذلك لم تتكلم . كانت عادة كماداتها دائماً ولكنه كان يضيق بهدونها . كان برعد ويرسد حين جاءت وأخذت تمسح الدم من وجهي صامتة . فلم يعد بداً من أن يترك البيت وفي الصباح سمعته يقول لها :

- خلي بروح لعداد خلي بروح الى جهنم وبش المصير غسلك ايدي منه . خلي بروح وبين ما يروح .

كنت أعلم أن عمي يسكن في بعداد ويستغل هناك بيع الخبطة والشعير في دكان صغير وكنت أظن فرحاً حين سمعت أمي يقول ذلك . فقد كانت موافقة تلك بعممة سماوية . هذا مع أنني لم أفكر لا بأجور الكفة ولا بشن الكتب ولا أي شيء آخر . كنت أريد أن أدرس وأنجح وأنشد عن أبي أيضاً . أبي الذي لم يعبر دعاءه في الصلاة مذ سمعته يصلي «ربي إني مسني الضر وانت أرحم الراحمين» . أبي الذي لم يقل لي كلمة وداع فيما كنت أغادر البيت قاصداً بعداد بل كان شاربه الأبيض المبروم يرتجف .

وركنت القطار الصاعد من الديوانية الى بعداد بعد أن ودعتهم جميعاً وشيعتي أمي

بأدعية وإنبالات كثيرة . اما زوجة أبي فقد تهديج صحتها سمعتها تغاطب أخي «روح»
وصل أحبك للسحرة . لقد كانت ليلة دائماً معي . وعمرني نشوة النصر بعد ان تحرك
القطار ودوت صفارته في الفضاء المظلم واخذت الصور الكثيرة تتوارد على خاطري متلاحقة
متتابعة فيما القطار يسير .

اذن سوف ادخل قبة الصبوة واسكن في بيت عمي وأعيش في بغداد التي طالما
كانت يحدثني ركي صديقي عنها وتأتها أسطورة لقد منحت في الذهاب كما توقع هو .
لقد قال لي مرة :

— الحياة مقدسة يا محمود ويجب ان لا يعيش الإنسان كالخشرة او الحيوان المقتصر
وعين شكوت له جماعة أبي اخوتي
— اهوك ؟ اهك مسكين كأبي وقاسم الزمان . اسمع اذا وافق على ذهابك فأنا
مستعد لمساعدتك رغم اني كما تعلم .

— ولكن عذر هتك وهو يعني نفسه انه كما قال يا يحيى بن دينارين او ثلاثة .
— عال . عال جداً اذن تستطيع الاستمرار في الكلمة وما حرج ايضاً . انت ذكي
ذكي جداً وسبح الله انك تعلم ما تريد .

كان لهيب عريقتي دائماً يحني على حرج وكان قد سادني انحرافاً تعزى لي وهماً
غريضة فالتفت له صدي . ماذا يعني علي هكذا . . . صديق . . .
لقد حصل ركي اخوتي في . . . جعله وودعتني ذلك .
— فانس الامر في . . .
— أخسر ؟ هيبات يا ركي .

ولم يوافق كان لا . كان يقول لي دائماً : لقد معوني من الاستمرار في الدراسة
ويجب ان تستمر انت والطريق التي جيل بيني وبينها تستطيع انت السير فيها الى النهاية .
كان أبي يقضي به وبصداقي معه . فقد سألتني مرة :

- ليش ما نصلي يا ملعون الوالدين -

ولم اجه لاني تركت الصلاة منذ زمن بعيد ولا ادري لماذا ، لقد كنت في مراعتي متدياً الى حد عجيب كنت أصلي وأقرأ القرآن حتى منتصف الليل ولكن ذلك لم يعجب اي صرخ بي مرة وكنت أقرأ القرآن :

- يعني تريد تصير بي ؟ ليش ما تدرس ؟ صلاة وقرآن صلاة وقرآن كل يوم وكل ليلة : عابث الدروس عابث كن شي ، ملعون الأهل تريد تصير بي ؟ فهمي ! ولا اذكر لماذا تركت الصلاة بالضبط ولكنه يوم سألي ليش نصلي : عاد فتابع :

- ادري ... ادري ... ادري ... ادري ... ادري ... ادري ...

وأخبرته : بعدوه :

- لكن ركني ما مطلب مي ترك الصلاة

بصق علي وهم يرددون :

- عسله اوبني صا ... صا صعيد ... صا ... صا ... صا ... صا ...

مررتك وأنت من تلك حرة لا رات

وتولفت اليساري في عشاء ليلة وكانت أخته الصالح وسكانه العدة تلي في الشوق الى بغداد طلبة إثر آخرى بعد صلاة في منزلي وحداً ما قربت مني كانت تعرف احدها معروفة برفعة اذ كان معي في الشوق ، واصلت مع أخته حزن الشوق الى بغداد ولم أوه بعد ذلك الا انك الشاعرة وتجاوزت وسمعت منه أنه يتولي رجولاً مثله المستاذية وكان يتكلم بجملة من مسكرات ابن حادي الساطع الذي زلنا يوماً وحاول ان يراه أبي علي ، وحالي في الجيش قائلاً :

سعلمي أبو محمود ، اذا أصبح محمود علي يدخل الكلية العسكرية ، اولاً المستروقات على الجيش ثانياً مستفيدة ممتاز ، لكن أمي عجته :

- لا عبي ... لا ... لكن يوم يمكن ، لا عبي ، أريد عيوني تشوفه

وأجابها معنفوا :

والله يا خاله أني أشوفه يصلح : ثم ضحك وتابع : وهو حلو وجسمه ممتاز ... بطل
ما شاء الله بطل ... شوفي

لكن أمي مدت أمانه السيل فائلة :

- اسم الله عليه ... عسكو ؟ لا ... وروح أبويه لا

وجبتاك أجابها أبي وهو يصير بأخته له

- تريد بهي أفندي ... من الناصبي

...

ومن محطة بغداد إنحدت طريقي الى بيت عمي في الكرادة جنوبي بغداد ذلك
البيت المظلل على دجلة والذي قديماً ما رأيته إذ جئت مرة صعبة أبي وأخري مع أمي في
مواسم زيارة الكاظمين وبها أنا وحدي اليوم ذاهب إليه ... كانت ألوان باعثة عن بغداد
لا تزال عالقة بذهني ولكني اليوم رأيته وكأنني لم أرها بل حتى ولم اسمع عنها ... كانت
السيارة تسير بي بحفرة الشوارع المزدهمة بالسيارات وكنت متعباً وعيناي مبهوتين من هذا
(الجديد) الذي بدأ في كسريط يسمى سريع وأحست بالدوار والاعياء .

وغادرت السيارة فاذا القهوة التي كنت انش عنها في ذهني وأنا في السيارة تطلعتني
وكذلك الدكان الصغير في مدخل الطريق المؤدي الى (الشط) وصاحبه الرجل القصير
الذي كنت قد اشتريت الحلوى منه مرة أو مرتين وهذه هي نفس البيوت القديمة المائلة
للانهدام على الجانبين . وضعت الطريق وأنا أتذكر واستعيد مرحاً مروراً . واعتدلت
الى البيت سهولة فقد قادني احد الأطفال ولم أسي تلك الفرحة التي شهفت بها امرأة

عني بعد ان عرفت علي - الفرحة التي ظلت تطالعني من وجهها الى النهاية - أما عني
 فكان نبلاً ايضاً لقد أحسنت اني جئت سعادة لهما فهما يحرمون من الاطفال - وظنت
 في الأيام الاولى انه يتكلف ويتصنع الحركات والتصرفات لاجلي لكي يثبت ان ذلك ليس
 صحيحاً - كانت الابتسامة لا تفارق شفاه وصوته الهادي ينادي الى سمعي حتى ترداد
 طمأنيتي - كان هادئاً وفي صلاته يردد دائماً « ربي لا تقدرني فرداً وامت حير الوارثين »
 لقد أحسيت حتى طريقته في اداء الصلاة رغم أنني لا أصلي ؛ ولعل الذي يادني حباً له
 واحتراماً هو عدم تساؤله عن تركي للصلاة رغم ايمانه وتدينه فتم اشعر انه يعتقد علي لهذا
 السبب او يحترمني - أما زوجته فكانت لاحظت حزن ترسم على حينها كلما رأت
 طفلاً لكنها كانت تحرس ألا أتبع شيئاً من حوزها - كانت متسلطة لثوانع المسر وهي
 تعاني المأدبة يبدو انه أثر في صحتها ورغم ذلك فكانت تبدو منهجة كلما علمت بحاجتي
 لشيء ما ، وكان لأم بعصري وأنا أراها تنقب نفسها كثيراً في طهي الطعام وإحضار
 صحنين او ثلاثة في الغذاء والشراب - كما تقول لي : « إلفني طفلاً قلت فبه - أ ،
 ولكنها ملك دائماً كذا » - كل الت هذين وحملوا ورغم انه فبه إلا ان عني من ما
 يبدو كان دائماً عن الاعانة - أما كان منظره لهما بعض القرب - فبعد بحانه وامامهما
 السدة المخاضة للبر - لقد حصصوا لي طرية الأسفل وفي عصر صكتهم به كانت انهم
 كرسياً أمام الباب اتبع ناسي بحث هذه الطرية الثالثة أمام المسكن بل أنا عدداً والاشغال
 والشباب الذين يحلون عصر كن يوم بر وارق الحيد التي يبدو منظر الشروعها أحاداً فيل
 الغروب حين يحضض الأفق فرس الشمس وعلى جانب النهر الآخر حيث اردحت
 اشجار الجبل وكأنها تحيي فتة الضيعة وسحرها -

وبعد يومين او ثلاثة من إلفني أخذني عني معه لأرى بغداد وأستأجر سيارة
 « تاكسي » وكان يشير للسائق من هنا عني - من هناك لي - « يكون يقول لي : شوف -

هذا الملك يسمى الباب الشرقي وهذا باب الشيخ... باب المعظم... جانب الرصافة...
وهذا الجسر لا اشراف اسمه ونقش الى ذهني حافظ عجيب كيف لا يكون للجسر اسم...
ولكنه كمن تذكر قال يسمى جسر الفتوق بينما رأيت ان احبوا واستعربت ان أسأله
شيئا عن التاريخ وناسع هو يسمى في الذاكرة وشيئا بها... جانب الكرخ شمال الملك
فيسر الذي كنت اراه على باب السكاكير التي يدعها أبي... وشمال هود والجسر
ايضا جسر هود كما أسماء لي.

ومعت أباي وقال تغديس الشاب الى كلية الصيدلة شاهدت السراي : سايات
الوزارات وساعة السراي والتمثل السراي الصغير فوجدت والدي لا يعرف الكثير من
هو وسألت عمي عنه فاجابني متحجرا :

- تمثال على الساع، في الرأى ١٠٠٠ هـ هاهنا .. بحس

— و من هو ذا علم

- جيم - انت ما سامع عه : حنك خمس قائد انكليزي ... ولا ادري ان كان مصيباً أم لا فقد سمعت مرة انه ليس « الجيم » ولا انسى ذلك الحساب الذي كان يسمه علي عمي . هذا الرجل الذي كنت اسأل نفسي كيف يكون اخاً لامي ؟ وفدتم الاوراق الى الكلية ولكن عمي كان ينج علي ان يكلم احد التوراة الذين له بهم معرفة بشأن قبولي وكلما اعتبرت عليه قاتلاً :

- لكن يا عمي درجتي ممتازة وبمعدل ٨٧ و-اقبل حتماً .

يعتبر:

- لا يا بني لا، هنا في بغداد كل شيء بالواسطات --- انت ما تدري، انت حقا كنت اسير في شارع الرشيد عند حدودي من الكلية وفي كل يوم ارى شيئاً جديداً في هذه المدينة الكبيرة والمصعب والضحج كانوا يهزأون عني فاعود اليك وأنا بحاجة لاصحاب

غير اعصابي ورأس غير رأسي . وليست الميزات الكثيرة الواهبها المتعددة واشكالها
المختلفة فقط اما الاشياء الأخرى التي كانت نظري الباباء لا تفكك تتمتعها . حانات
الحمور والتموجات المعلقة فوق أبواب والمحدزون التي نقص بالصانع تحال الشاعرة في الدواية
ودور السيف لاسب في ارب الشرفي حيث كان العجب يذهلني وأنا أرى حشود الناس
تدافع متداخلة معضد شكان فصيح وهو يروحون ويحشون وكاتب على غير هدى كما
كان يمد في . ان الشاء . . . الشاء القوي كثر ينادي في احاديث أحسدت تصيق على
وتحول ذلك المثلث الذي كانت به تعادلي . كنت أرى الصدور العارية واليهود النافرة
التي تجلبي حروب وجون وبك الملالات الشفاء التي تدوم قابلية عابها . كان المرق
بتصا . من جبي والناحوس وحيدتي في عداد لا يسي أن أخرج في الكلية وحسب بل أن
هذه المناهضات الكثيرة التي تهت في حقد هي أجب يجب على الاعتناء إلى هيم . وإلى
وسيلة ما للخلاص من هذه الهزات المتواصلة التي تركي اربش كلفها . لان المقلق
والاضطراب والضيق من هذه الحياة المعقدة . وة يكن أحد يعلم بهذا الصراع الخفي الذي
يضطرب به كباني وكانت حشبي إلى صديق أوسع له واستعين به تترام يوماً فبدأ صديق
مثل زكري لكي اكناف له الفات عم يشمل في رأسي من افكار غريبة وعجيبة أيضاً .

ومر اسوخ او اتان قران اكتب لركي رسائي الرابعة ولكنها كانت الاولى بالسنة
لحياتي الجديدة وسطرت له كل ما اردت ووصفت له كل ما رأيت ولكنه كان دكياً إلى حد
عجيب فقد نعلقل إلى روحي من خلال رسائي وأخاني :

أبلى هذا الحد تصدعت على ما إذا اعتقا . ستعد كل شيء بعد أيام والمهم الا
تفكر بالهروب . فكر في أنك يجب أن تنجح وتنفوق أيضاً وتذكر دائماً أن العمل ليس
حليماً بالخوف يجب أن انه بواة الشفاء . الشفاء الذي على كل ما أن يعمل جهد استطاعته
لدفعه والفضاء عليه . ارمك في المك بحاجة لمصدق ولكن ماذا تنجح هذا ؟ صبرا . .

انت في أيامك الأولى وستعرف الى الكثيرين وربما نسائي لا أدري . اكتب لي واقبل
تحياتي والسلام

زكي

ولكنني مع ذلك لم أجد صديقاً في تلك الأيام . وكان الطلاب في الفترات بين
المحاضرات يتجادلون ويتفاحكون وربما كان هناك من هو مثلي يتزوي دائماً في مكان ما
اسم لم اكن اعرف أحد ولا يعرفني أحد . وما زاد في الضيق الذي كان يعلف عقلي هو
بوعية الدروس رغم أني أريد الانكليزية ولكنني استعذت شجاعتي بعد أن قرأت كلمات
زكي . وجدني بعد أيام التهم الدروس واستمدها في البيت .

لكن الذي كان يعذني هو وجود الطالبات في الكلية . كان يحفر في دماغي جداول
نسب فيها افكار لم تكن تنحصر لي بل قبل تلك الايام . كنت كلما سألتني عمي عن سرير
الدروس « عن مدى سعادتي أحبه مطلقاً إياه لكن ماذا افول له عن هذا الخجل الذي ألف
خراطينه الاخطبوطية حول كبائي ؟ فأبى سعادة يحسبها اسأل مثلي يحتمي لسانه في مكان
ما من فمه في وقت ليس له إلا ان يقول شيئاً عما يحسبه صديقاً . وقبل في المأثور « قيمة
المرء ما يحسنه » فاعترف أنني لم أكن أحسن قيمة لوجودي حتى ذلك الحين ! نعم . اننا
الذي كنت أستعجبى . . . مع أستعجبى حتى من التحدث الى زميل يجلس بجانبني مع ان مرحه
كان يكسر كل قيود الخجل والخياء ولكن هكذا كنت .

الاحمل الأيام في حياتي هي تلك التي لمحي نفسي في حجاب نوم سارعة ظلام
الدموم الذي ظلامه عميقا فلا يعود يرى غير أشباح الخوف والقلق والأسى . انفسا
المفتشة تلك هي جبرم الحيرة ولعل من الواجب على الإنسان أن يعبر قدر استطاعته على أن
لا يدع انفسه حبيسه . فكل يوم يمضي يترك شعاعا يهتف بخوف في الترمس وينسلط على
طافنا فتدفع عن رغبة وحب للحياة .

وأية أيام وذكريات تلك التي نشع في أجواء روح كل طالب ؟ أيام الدراسة ، أيام
الصداقة الطيبة والوداد والندوة البريئة ، أيام الخفاء الزاهية التي يحضرها أريج الشباب .
وحين الذين يطلبون أن "نمده" بحري في شرايبهم فإن نديهم من تلك الأيام ما بعدني حب
الخفاء في أرواحهم . ولكن طالب أيامه وذكرياته التي بض مهب عن وجوده وعلى ماضيه
وعلى مستقبله وعلى واقعته فتبين المجر الذي يعيش له .

لكن مع ذلك تبقى في حياة كل من علامات استعهاد كثيرة تنظر - وما أمر
الانتظار - وكل يوم يمر من عمر المتحارب يصح وراءه علامة تعجب .
وأنا لا أعري أي شخص وسمن لي وأعزاني أن أشعر أشد عني وأسم زمامي لرغبة
كنت أجهل عو قد انصافي أنا الذي كنت لا أعرف لمواظبي لئلا ولا أحسن إليها
حرارة ولا أدوم عنها لئلا . . . كيف برحت بهذا العاصفة ثم سدمني بعد

لكن الأستاذ كان لا يزال حائفاً فأجابه :

- ومن أجوبك على كتابة شيء ؟

- ولكن تسجيل الملاحظات ضروري ونحن في بداية السنة .

واحد الطلاب يتهامون ويظنون أنهم إلى (وتونه) صاحب الأستاذ يدها :

- فقولوا لي ماذا جرى ؟ ماذا تريدون ؟

وفي تلك اللحظة أجابته مديحة :

- استاد لا تفهم وانت سريع هكذا

- طـهـ وبعد ؟

وأجابه آخر من الصفوف الامامية :

- الملاحظات نفوتها ونحن لم نكتب شيئاً ونست هذه المرة الاولى التي مرجوك فيها

لكن الأستاذ كان من هذا آخر - من اولئك الذين يعجزهم الامار ولكن في غير

مناسته واحد يمر المصة امامه يحف كي يهدئي من اجم الذي بدا يتكهر - قليلاً بعض

الطلاب من ها وهناك ثم من لمحة حارمه

- الذي لا يعجزه يستطيع ترك الدرس وتذكر وان هناك ادارة يستطيع كل واحد

محتكم مراجعتها .

كانت مديحة جالسة امامي وحالي إحدى الطالبات وسمعته تقول لم يملتها :

- ماذا بقصد ؟ ماذا يعني ؟ تخوف منه ؟

- لكن مديحة ماذا انت غصبة هكذا ؟

- بهجة انت ذات (لا أني) أكثر الملاحظات فانتني ؟

- اما ايضاً بل لم أكتب شيئاً .

- بعد لأمك ذكية والمحصنة الصنع في ذكريت ١١٠٠٠

وضحكاً مماً ضحكة خفيفة ومهما تمتعيدان عبارة • انطاع الوان الطيف

الشمسي . . .

وفي تلك الدقيقة حدثت المفارقة للطبيعة بعد ان اقبل العراش وهمس في اذن

الاستاذ شيئاً غادر بعدها القاعة وتبرع أحد الطلاب فأطبق الباب خلفه وانتشرت المحركات

العالية في أرجاء القاعة والنقاش والتدخل

- لا تريد ماذا يعني لم تستفد منه ؟

- صحيح لماذا يصر ؟

- لماذا لا تقدم عرضة ؟

وسألني زميلي الذي يجاني

- انترى كيف انه لا يكتب • يعني الاستاذ •

قلت :

- صحيح لكن ماذا فعل له ؟

والنقطة « مدسه » الى محاة • كأنني سألتها من

- ماذا تفعل ؟ أيام المايحور • • • • • أكتب شيئاً أنت ؟

ومرت لحظة رهيبة لم أفلح لمراحة السؤال فقد كنت ابدل جهدي كي لا يفوتني شيء •

واجبتها متلعثماً :

- نعم كنت ولكن ليس كل ما يجب

ونظرت الى مدهشة متسجعة ثم قالت

- تسمح لي بدفترك أسوة ؟

وبالولتها الدوت وشرعت تقلب صعدانه ثم سألتني :

- أكتب كل هذا ؟ ألم يفتك شيء ؟

- لا • • • • • تقريباً • • • • • لكم يسرع أكثر من اللازم •

وكانها ارتاحت لهذه الكلمة التي اختلقها أدانيي بينما فترتها هي تفسيراً آخر
قالت :

- صحيح من أكثر اللازم ومن دون سبب .

وأذا يؤمنها تقول لي :

- تسمح لي ، أوافق من استخ من واعدته لك عداً

- المود تفلي ... أيقه عندك

- الذكر

- العفر

كان الصواب في شعره شاعر وحسب من عبي الذي أخرج سؤله شاعري من مخبئه اشعل
مع الحر ودف الخرج وم يرجع الأسد ووبه من يدور أمة العنت . ربحه الى مينة
وراحت ومديفها التمشين في حديقة الكلمة ربما وفقت مروة أوفد قائمتها الممتوقة
ووجها المدهور المضى . وشعرها التستال . استعد كمدانها . أسأل غامدة :

« أله فكرة أحدث عني أتجنت من هكذا الأمر لم يفتى من الكدوم من شيء » . اني
أذكر جداً كيف عدت الى البيت بمذاك متبهجاً فرحاً والوجه المدهور المضى . والاشامة
الطيفة بثيران في شعور عرياً لم أكن أومه بينما مع لداحي . كنت متبهجاً لكن لماذا ؟
الأل . ميلها استمرت الدعرة ؟ أم لأنها هي التست ؟ أم لأنها تلمتها ؟ . وسرعة ما
توقفتها ولا كنت احب ابي جري . لهذه الدفعة ... أنا الذي افتقد الشجاعة حتى على
العرف الطلاب او تعبتي طائلة النفي بها

...

وفي مسح اليوم التالي كنت في طريقني الى الكلية وقد رايتني الشعر بالضييق الذي

- محمود هذا الدفتري وأشركك

- العفو ... هل أعادك ؟

- طبعاً ... لقد كنت كثيراً وخطبك واضح ومفروق ... أما عضة كيف كنت كل هذا والاستاذ أسرع من السبع ؟

وفيما هي تفحك امتدت نظرائي مع الممر الذي حثت منه وإذا سديحة مقبلة ، كنت أريد أن أضحك ولكنني عجزت حتى عن اتصال الضحك وشمعت بجسمي يرتعش وفلي يدي نصف واعتدت من سبعة التي اختفت لها عمت شيئاً ما ودلت إلى الداعل كأنني أهرب ... والأسنان يهرب شيئاً من عواطفه لكنه سرعان ما يجذب إليها بقوة لا يصمد العقل أمامها : داء

• • •

كما نصف حيلة فصد في غرفة النوم في برلين وتعلم أن التين حوسب في مصر به حصة وخطاب كل من مستدمات المحنة من ... د. خليل و... مصباح سرور أيضاً • مصباح بنون الذي قال برسر أن معركتي القوي والى هزيمة انتفا وأمرعت إلى مكاني بالسرعة التي يدفع بها الضارب إلى لغة التاميل لكن سرعان ما يخرج منها وكان رجليه مشدودتان إلى بعضهما •

كان الأستاذ بروح ويحيى ويصف عند كل من ملاحظته مفسراً ، كان رجلاً يميز بأرياده شعره الأبيض ، فراء وجبة ومنظره به حي بالدور لكن ... أي المحبون ... المستور ... لم يكن ليأبه للاستاذ ولا للفتاة حولي ... كان الامتحان عميراً جداً - كيف سلمت علي

و ناله
کند
شده
آهسته
نادر

...
جیکه
کت
کافی

مجلس
العلم
سنة
و...

أتملت
تسج
ورد ان
جک

و
أله

در کثیر آ
مدونه

- محمود هذا القدر وأنح -

DE 11

N.Y.U. LIBS. NEAR EAST NEW O.

درة كيف كنت

ديحة مقيلة

سمي برأش

الى الداحل

- اليها بقوة

JABIR

AL-AYYAN AL-MUDI'AH

مميز

أ

أي

هـ

فيه

مضام

بالسر

مشدود

PJ
7840
.43
.49
c.1

شعرة الا

لم يكن ليا

وباد في ناسمي ؟ كيف عرفت اسمي ؟ أنا لم أسمعها نحسني قبل اليوم ... أبداً ...
كنت الخنفس النظر إلى وإلى الخنفس التي جوارها لم أحظ من وراء نظائره السمكة
ثبت في عيه وحسن حتى لم يحضر ذلك اليوم - حتى الذي بعده من كل مسرة - كنت
أحس أن بلحظ الأسماك أن كني رابت وجهه حامد التعانين وبقرت إلى مديحة وكأني
مادتها وروعت رأسها فجاء عن أسوة الاحترار التي سدها وانسمت لمراساتي .

- هل أريدت سبعة ذفرك ؟

ونعمت جفاف في حلقى وببوسة في لساني وفلس :

- نعم . - سبعة - سبعة -

- ولكنها ليست سبعة مثلك - اسمع عمود - اسمع لي ؟

- حاضر .

ومضت لحظات وإن لا أكاد أوهي شيئاً من هذه الأدوات التي أفتنفس وأتملت
مصباح بنون في اللبنة الرفقاء ومكنت أسوة الاحترار حفصي نكر نظرائي أجدت نحو
العشرين المذاهب - سبع مرة أخرى وإذا وحبب بطني - ابتسامه ساحرة ولم أكن إلا بعد أن
مدفطت أسوة الاحترار من يدي وأدت اللبنة الرفقاء أقدامي وسعتر أرمس مدحكتة
بهذهت حفيفي :

- عمود احترقت ؟

- لا ... سبعة ... أصمعي ثوبه ...

لا أري ما سمع الخنفس الذي كان جوارها أو الخنفس لا أحرير الذير كثيراً
ما تلتصق عويله هذا وهناك كلما أحس شيئاً - لكن لا أستاذ اقرب مني وسأني بوسدونه
الاعتناء :

- ماذا أحرى يا حي ؟

- العمود أستاذ - وودت من أستاذي

ولا أعلم إذا كان قد فسر اضطرابي فسيحاً مستحباً أم لا فهذا ما لا بد لي
- لا بأس ... من خبراً ... على كل حال ... لا بأس

قال ذلك وتركتني أواجه هربتي أمام العينين المغايطيتين والابتسامة الساحرة
ولم يدرك أن الذي أحرقني لم يكن مصباح سحر

وجئت لها بالدور بعد مغادرتنا المختبر وعثرت على صبي المملوك وهي تسوي خصلة
من شعرها الكثيف كانت تداعب خديها ... التي :

- أتألم ؟

- لا ... لا أبداً ...

- لكن كيف فعلت ؟

- لا أدري أفادت ... برعة

ولم أستطع أن أفكر في تلك الليلة وكما أقصصت لثباتي لا أشر إلى مديحة مرة
أخرى بعد الخرج الذي زجني به في السجن ولكن الساعات كانت عتس والوجه المدور
المنضى والابتسامة الساحرة ما يمكن عتس في إلى غرفة المختبر ... صراخي التي أكونت
الأنوبة التي تحطمت وانهمست التريكة التي تردد صدها في سمي ... محمود ماذا ؟
احتقرت ؟ كيف ؟ والضحكة الناعمة وسؤالها : أنيتها ... ويفتر إلى عيني الطالب
بهجت الذي رأيت يكلمها منسماً فرحاً ووجهه معبر بشدة كأنها انعكسات لابتسامتها ...
لصحتها ... من يكون ... ما يكون بالنسبة لها ؟ هل هو أخوها ؟ أم ... أو ما
أطول الليل ...

كانت ليلة ولم تكن كبيراً من الليالي ... الليلة التي لم يكن فيها لرم من حساب عتدي
ولا معنى في تقويم أمكاري وأنا أنسا : ماذا فعلت ؟ ماذا سأفعل ؟ وسمعت المذنب

لأول مرة من الجامع القريب . كان صدقه يساهم عن هدوء الفجر صافياً عذراً . ولم
أصبح كيف كانت العذات سريرة هكذا . بل كنت استعجلتها كي أعني إلى الكلية لاكون
قريباً منها .

٢

كان الطلاب يتعاضدون في موضوع واحد تقريباً ورأيت بعضهم يحمل شالقات حافلة
تمثيلية ويبيعونها للآخرين . وكنت دائماً في إحدى الروايات حين أكون في تلك المراكب
وكان الأول يضحك ينادي الذي يتبعه بتسليم :

- أرجوك خيل أعني .

- ماذا تريد ؟ . أم عجة

- الفلوس يا أخي أو الطاقة

وتوقفاً قليلاً وكان الهارب يضحك وهو يقول لصاحبه

- شوف سلمان . أما الخونة فلا . أتدريه أما نحن معاً عندي

- يعني ربع دينار ما عندك ؟

- وإذا ما عندي ؟ عيب ؟

- أرجوك ترك الجدول . دوح سكره ١١

- لا . . . بعد بعد بعد بعد بعد

- يعني ؟

- يعني بعد السبع

- يا أمي موعد أخفقه بعد أسبوع

- لكن يوم تغلب منه عمامة ... لا تسعج ... ربما أرفع لك كذره

- على كل حال المسألة مسألة تسعج

كنت أتعت اليهما وعباني منحتني في الحديقة والتمت حزين سمعت جواب الأخر:

- بعد يوم أو يومين الطافات نحلقن وسنأخذن وحده وإذا صارت المسألة جد بعداً

صاحباً بومعه ... الله الله ... هذا رطبت ؟

- كانت مديحه منجبة بحوي وعلى بعد حشرات ناذري

- محمود

- ...

- أنت بيت عطفة ؟

- ... التزيت بعد ساعتي من الفاع

وأشارت إليه يدي ولكنها لم تني :

- أنا أبيع لك ... عدي ... كلته في بيع قه من

لم لمعت في عينيها شدة بالغور وثامت :

- واحد ؟

- لا اثنين

وإرسمت على قسمات وجهه حفيقة وهي تخرج انفذت من جيب معطفها بيضا

أسرعت يدي إلى العبدار الذي ظل أيماء في حيي ولا أدري ماذا اشتري به وأعطيتها

أيام وجلل أن لا تأتي قالت

- أرجع لك النقي .. قليل

- ولم العجة ؟

- لا .. لا .. سأعود حالاً

وفيما كنا نادر الكلية استوقفني

- محمود لسمع نظير شوية حتى أعطيك النقي

- شكراً ..

- أنا أشكرك

- لأي شيء ؟

- لأنك انتزعت

- لكن هذا واجب

- صحيح هذا واجب والفرقة بخيرة ومسرحة بها دائماً رائعة : شاهدت تمثيلها في العالم

الماضي ؟

- لا

وأقبلت مبشياً بوجه الذي كان معروف به في وجوده .. وسريراً الطريق بين الخلية

ومحطة السيارات .. تحدث عن المساعدة في السيوس .. ووصلنا قريباً من نهاية السطوح حيث

توجد الدفعة فأسأله :

- مقام الدفعة هذا ؟ أسأله .. هو قاعة خضراء

- ألم ترها فلاً ؟

- أنا لم أر فلاً فحينئذ هذه الآلة .. فأرسلني إلى

- والبطانة الثانية لمن إذن ؟

- عندي صديق مساعد

كان زحام الناس شديد .. وهم يتحركون لتغيير السيارات وودعتنا صديقتي بيحة ومضت

على الرصيف المخادى تسبح الكلب .. موجه لميكته .. فجاءته .. شفتت مديحة إلى صجرة ..

- كل يوم خمس العذاب - رحمهم وسامع - هذا وجمع ؟
 - صحيح - قصدي ليس - وصلت بيت عمي لا بعد ساعة أو أكثر
 - أنا مثلك - وحيدك - وانت ما أكثر الناس - كل يوم - كل يوم
 - يسكنك جدد ؟ في التكرار
 - لا - في السعدون

وكنيت لا أعرف من هذا الاسم من القمار المصوب في الباب الشرقي من بغداد
 ولم أكن أعرف من هناك مدينة كبرى لها هذا الاسم أيضا وصعدنا إلى السارية ولم نستعني
 بالبركة هذه ساعة من شاول لم أجد من كان من مدعاه وكنيت ألقاه التذافعي لأبقى
 واقفا قريباً منها من الآثار كانت شامخة يستحسن أن يرموها وأخبرني نظير عمر الرجاء إلى
 النجف الكائن من الصفحة العشرة مع شيوخ السعدون لم يأتك وبسمه كنيت في المرة
 الغابر السيرة في محطة الباب الشرقي لأدفع من هناك إلى التكرار في المسارات الأهلبة
 وثلاث شياً ما كنيت بشي إلى مكاني هذه المرة ونحن هضمت مدبرة وغادرت السيرة وقلت
 عني الرصيف لم أكنيت في وكنيت أقدم ما من هذا السيرة لحدك أنا أودعها

وفي هذا ذلك اليوم سمعت رسالة من ركي وكنيت أيضاً أحرر ولم تحو رسالته
 غير السلام عن الصحة والراحة والامتنان عن سير القديس ثم ملاحظة صغيرة في أسفلها
 - كيف بعد بغداد ؟ - كنيت فليكن السيرة الرسالة أحسن برعة في التحدث مع أحد
 ولعل أحاديثي تنتهي حين كنت أكتبه هي التي صاغت رسالتي بهذا الشكل

أخي العزيز ركي
 السلام عليك

سمعت - تلك عصر اليوم والي يوم هذا ؟ لقد فرحت به كثيراً لأنني فكرت أن
 كنت إليك صباح اليوم - أريد في إيدك - في وقت إلى السيرة - معك - أمني لو

يكون معاً الآن إذن لتعجبت في . أكاد أظن . . أظن ورجاً أظن وأني إليك لا أقضي
لك شيء مهم . . . أهم من كل مهم أندري ، هو ؟ لقد تعرفت على حالة مي في الكلية
إنها تشغل فكري كله تصور أبي لم أن ألقه أمس ثانياً كنت أفكر ب فقط أصدق ؟ ماذا تقول
في هذه المسألة ؟ واليوم حصلت على بطاقتين من حفلة تمثيله ستقيمها في ٢٠٠٠ على مسرح
القاعة التي كنت تحدثني عنها . يجب أن تأتي . حصل على أجازة يومين قبل الحفلة . تعال
أرجوك أريد أن أقول لك أشياء كثيرة عندما تأتي . . .

المخلص محمود

وفل موعد الحفلة يوم تسلمت حوائه وكنت قلقاً فل أن يصلي ذلك الجواب الذي
دائي على أشياء ما كنت أعرف أن لها جوانب صلة كصلة الروح بالجد . صلة استحال
فيما بعد إلى جزء من وجودي .

عزيزي محمود
سلاماً

وصلني رسالتك المؤرخة ٤ منه ودهشت وبعثت أيضاً ماذا هناك فلي لي أنت
كثيرة الرسالة حقاً ؟ لكن كيف ؟! . . . أفرح لفرحتك كما تعلم تكن تش أحك يبدو أكثر
من اللازم . أندري ماذا قلت لي ؟ قلت أنك تحب انما ماسوب آخر ولكن تذكر يا محمود ان
الطيران من غير تصرف لا يؤدي إلا إلى السقوط ودفع الثمن تذكر المثل : «ما طار طير وارضع»
في أهداه السرعة أحسنها . . . الله الله . . . لأنها كلمتك و نظرت إليك لم اتسمت لك لا

أدري.. ومن أدراك أنها لا تحب رجلاً غيرك ؟ أرجو ألا تضير بهذه السرعة .
وسوف أني إلى عداد . نحياني واشوقي .

ركبي المختصر

وطوبى الرسالة وأنا منه غاده لابي أمينة . لم أتوقع أنه سيجري في هذا
الشكل . لم أقبل له أني أحبها أنا ، هو الذي استنح كعادته دائماً وحاولت أن أذكرك
رسالي اليه وأنا أكدت اني لم أقبل له أكثر من (تعرفت) ولكنه قال لي : « أهكذا بهذه
السرعة » ومع ذلك فالتفت بنفس شعوري الاول وانظرت في المحنة وأرت عليه الا
ان يأتي معي إلى بيت عمي وحزن ان يصير على الذهاب إلى العندقي ولكن الحارس اخبره عن
الرصوخ . ولم أجد عمي أكثر من أنه كان صديقي في البداية ولا يزال ورحب به عمي الذي
كان يبالغ أنه إذا في نياحي حتى ان ركبتي الملح التي كانت عذبة تسد كثير من ابي سرور . وقال لي :
- أنت في جنة الآل هذا تريد .

- جنة ؟ ماذا ؟ .. نعم . نعم . جنة كثيرة جداً . أنت لم تقرأها .

- لست أجد عليك ور . فطال على الشيطان في سحرنا .

أوجرك ركن . أنت في . أنت في كثير . أنت في الآل الناحي ؟

- ماذا ؟ أنتك ؟ فأنت لاني قلت لك حبل ولا تدوم ؟

- ولكني لم أقبل لك اني أحبها .

- أنتفد اني (عشية) . أنت تعرفني وأنا أعرفك .

- أنت تعرف الآشياء غير الحقيقة تذكر رسالة الخيول .

- هاها . . . صحيح . صحيح . والله أيضاً أقول لك رسالة لا تكون لها راحة في الطيران .

فماذا تكون النتيجة ؟

- زكي اسمع انت تقول اشياء ما فكرت بها ادا

- افس

- ولماذا افسم الا تصدق ؟

- انا افسم اذن . افس انه سيأتي يوم ونقول انك قدسها ونفسها . لكن قال لي هل هي

جميلة أم مثقفة ؟

- ماذا نقول

- اقول لك هل هي رشيقة جميلة الدم فانه لم ار جمالا في عملها

- المماسة بيعة فلماذا عقدتها الى هذا الحد ؟

- محمود انا احببناك فلماذا تضيق به احني ... كنا نتكلم بصراحة قبل اليوم . هل

تغيرت ؟

- انت عقدت المماسة

- طيب ... دعها الى غد ربما تتعاهم

ولم كل منا الصمت يصح دقائق لكن كلماته التي رزلي كانت بعض مضحكي

وفيما أحد الناس بعاله عاودني كن الشايف ماله :

- زكي ماذا تفصد جميلة أم مثقفة ؟

- ها ... تذكرت من جديد ؟

- لا . لا تحزج أرجوك

- أفصد ان بعض الفتيات أو بعض النساء من جميلة نفقة حانية من معنى الحياة وهو

الثقافة وخصوه بالعكس

- واذا كانت الفتاة التي احببتك علم متعة

- اذن ستحب كثيرا قبل ان تحب معجزة

- أنت ؟ لكنها بسيطة وليست متكررة متعجرفة
- صحيح أسمعته أن الخائف يتكبر أنه شعروف ... أراء
- وتأوه صاحبي وهم يتعت " رحمه الله شوقي ...
- وسأله حائفاً :
- وما لنا ولشوقي ؟
- لا شيء ... لكنه قال طرفة عابسة و
- عدت سخر عني مرة

• • •

وفي طريقنا الى المأوى وكان من غير عي زمره " شجاع الزمان " فقال لي كي عدنا الى عمنا
وأنت وأنا أعدد له وأندفع ما أعطني معاه بعضي وحديثي عن التكاثر والاستعداد والارضاء
التي يباهي به خالص من المذمومين وعن مشقة المحاربين وما يجري جوفه من الشاهد كعبري
من الطلاب كل يوم وكان لا يفارق يدي شكبي كنت أصدق كذا يسمى به صديق وراح
وأباه في السجلم يحضر الوقت في السؤال عن الطول والكيف ومجبت مسأله : متى تموت
بكل هؤلاء ؟ قال كل حطائين ثلاث صديق الى " أنجاني من حكايا :

- اهي على الأقل الآن - قلت ما ربع سين - انه لا يذكر لي احديث عن السكابة التي
حرمت منها والوظيفة التي اضطررت على الاحتفاظ بها انضمت ليأ حتى غلبتني الى البريانية
انت تعرف هذا غلام نساء ؟

وانخذت مكاناً مناسباً في القاعة التي لم تكن تصورها بذلك الشكل والتخطيط والتخفيف
ايضاً ومضت تذاق وأدانيات في تلكا بعض بداخلين مع انه كان لا يزال بعد أكثر من

نصف ساعة لبدء التمثيل . وأحد زكي يحدثني عن العزقة وما شاهد لها من تمثيلات فيما مضى وأذكرت أنه معجب إلى حد عريض بهذه العزقة واسترسل وهو يحدثني عن الأدب المسرحي والمسرحيات والمسرح العراقي لكنني كنت مشغولاً عنه ، حكنت أحوم بعيني في الجوانب واتطالع إلى الآراء حيث كانت تعد عشرات الفئات ولم انته إلى أن زكي خطفي وكنت أقفز من مكاني فرحاً حين رأيتهما تدخل . كانت جميلة واجمل مما كان يصورها في خيالي المسكين وضجاء أقل بهجت . هو نفسه مرة أخرى : أحسست بالخبرة تعطيني برعها مما أعطاني التي احترقت لحظتها .

كنا جالسين في صف من المقاعد ، يتقدمه من . وما أن إقترحت مديحة مناورات زكي حتى إذا بها تحسب اندهاش .

- هالو زكي أنت هذا . - مساء الخير

- وأجبتاً معاً :

- مساء الخير

ونائع هـ :

- حاي بي الأخ (أنته) بي هذه (ملكك) دجاجة

- من ؟ محمود ؟ - أنتما صديقان ؟

- أنتم بيته . . .

- طبعاً : مدنا في الكلية

وكانت انشغامة المراهق عاوي على الخبيبي ونزاع من أقوال . ثم - ألباسا حبي :

- أنت دخلت الجامعة الآن . - نعم . - منكم أخبار عن س . كنت

- حينخرج لوريه لا يقول إلا مقالة لسه . - أنته .

- أنتم تزور به علم .

- في الشهر مرة : هكذا يريدون .

- على كل حال أرجو أن تستمر لي عليه كثيراً .

- مكد .

واستأذنت لم ذهبت لتعبر حيث يحسن ذلك الشعير الذي كان يتجدد فيه
البغض والكراهية والحقد الذي استغره غيره عياء حنت في تلك اللحظات المشؤومة نفسي
ولا أدري إلى أي حد كنت أسير بالفتنة : كنت في شبهه من الذبول وقلي يضرب
بعض أسائي زكي معجاً

- محمود مالك

- لا شيء .

- أنها فتاة مثقفة ثقافة عالية .

وأحس النار وبدأ التشنج : كان التصيق حاداً والحمار على أشده بحيث كاد
الجمهور يتفجر في مظاهرة صاحبة وكان زكي بكاد يمزق راحتيه بالصعق ولا يتفك
يهمس في سمي : ألاحظ عظيم أسمع ؟ روعة . روعة . وكنت أصفق وأوبده
لكنني عبثاً حاولت مشاركته حماسه . لانت رغبتي ترك القاعة ثم أريد ديفة بعد أخرى
مسألتي زكي بعد انتهاء الفصل الأول .

- محمود ماذا جرى الآن ؟

- لا شيء . ماذا نفس ؟

- ولكنك غير مرتاح فامانة الانفس ؟

- قلت لك لا شيء . يا أخي ماذا لي على هذا ؟

- لا شيء . لكنني فهمت شيئاً . وسنكلم في الموضوع بعد انتهاء الفصل .

وفي الفصل الثاني كنت أراه صفق حماس ونكس ما أظنني قد فعلت شيئاً بهجت
كانت بهجتاً فقال ما أراه ولا أتذكر . بعد التفتت مررت أولاً ولا أدري إلى كانت
تلفظ إلى أم أو زكي لكنني بعد - مع من الغضب من زكي " كنت أعبر لكنني لم أعرف

بعد حفيقتي أبداً إلا أن زكي هو الذي آتيناها ونحن في طريق العودة إذ سألتني ضحاة .

- محمود لم تقل لي شيئاً بعد عن الفتاة التي كتبت لي عنها

- قبل أن أجيبك هل تعبرني كيف تعرف مديحة ؟

- إذن هي مديحة . ها

- كيف نستطيع ؟ لا أدري شيء عجيب

- انها بالتأكيد هي . لقد كنت لا تفك نظرتني

- لماذا تربط بين المسألين . اني سألتك كيف تعرفها . ومن هذا كنت ؟

- انت تسألني دون أن أجيبني

- ولنقرض أنها هي فلماذا يعني ؟

- علام انت عصبي هكذا اني لم أكن سألك لا أكثر

- مجرد سؤال ثم ادك ومحب .

- انت تفكر كأنك انا ماذا تفكر انك احملك يا عزيزي

- أرجوك زكي لا . . .

وضحك وهو يرتجف عن شدة بعد ما أصررت ولكن كنت في رأيي كنت

عاجزاً عن إحمادها وبعد فسر

- لو كنت قلت لي من الأول وأرجاني رجعت

- عن أبي شيء ؟

- لو أخبرني باسمها عن الراحل

- هل أنت عرفت اسم وعرفت من أبي

- على كيدك عن كيفك انما حديثك لم

- ولكنك تسخر بأزكي

- دعنا نتكلم بعد برضك ؟

- أعرف منتظر عني معذرة ولكنني احب احبنا احب

- الا ندعى أنكلم : اقول تينا ؟

- ماذا تريد ان تقول ؟

وصرخ ي .

- المسألة مهمة وضروري ان تقدم

وعندها كنت كالمعلم التوزيع وراح يصب في ادبي كلامه بهدوء وكأننا لم نتصايح منذ لحظات .

- اقول لك فكر المسألة جيداً أنت في بغداد وكان شيء جديد عليك والحب شيء سهل

من جانب واحد ومن هناك صورة خاصة ثم انظر اليها تحك ؟ واذا لم تكن كذلك فماذا

ستفعل ؟ تسبح ! هه

- اترى كم تطورت المسألة ؟

انت في السنة الاولى واذا لم تثبت فستدم

- دمه على ماذا ؟

- نعم حتى على عمرك . . . أنا لا اقول لك دعها وشأها . لا ابدأ لكن فكر جيداً قل

ان يكون حباً عفة . . . انعرف ماذا أعني

- لا والله

- الحب الذي يطور الى عادة سريعة ما يقلب الى كفر لأن ليس للعقل حكماً عليه .

٤

ما اسهر ما يرحس الانسان عن نفسه حين يخدعها سرعة وبساطة وكلمات صريحة

الحقيقة بصيرته اسرع الى الاقيون ، الى كل فكرة تيسر له الوصول الى الرضا والطمأنينة

والراحة . والذين يركضون وراء السراب لابد لهم ان يفنوا أخيراً وهم يلتهون وينساقون
بكل خيبة « إذن كنا مخطئين » وقد تحيل الخيبة الأسفل الى كائن لا يعرف سوى السرد
ولا يعيش الا به . ولكن على نفسه فقط حتى يموت وهو ينادي لأنه حلق . وربما لا تكون
كذلك رغم غاصر الانحجار التي تحملها الخيبة فقد يسرع الاسكندرية أخرى الى السبوح
بعد ان يتكبد طريق السراب .

وبوماسيها لم تكن أعرف معنى المستحيل لأن اليوم الخداع كان يحدو في نفسي كل
شيء ثم يقتله . ومع ذلك فقد رحت أبحث عن المستحيل وحين كدت أندرج من قمة
الامال الى هوة الخيبة السحيقة أمسكت هي بي صائحة ثم . . . ثم علمتني ما هو المستحيل .
معهم هي التي علمتني : ان الكثيرين يأمنون من أن تعلمهم امرأة . ولكن أي رجل
لم تعلمه المرأة الكلمات الأولى . وهكذا فإن طريق الحياة من غير هو . لا يمكن ان نواصل
السير فيه حتى الحشرة العمياء .

لم أكن انصبر يوماً ما أنني سوف أتخلص بهذا الشكل المصحك . لي على الأقل — انا
الذي كنت أجهل مكاني او وجودي ومعرفة . حقوقي وواجباتي . إسباني . ولكنني علمت
أشياء كثيرة عن كل ذلك ولم تكن هي التي نفتني بما أصابت في الطريق وطلت أقدامي
مصيبة يحيي لها حتى اليوم رغم ان الغبار الذي حملته عواصف الابهاء يسكاد بتلف تلك
المصاييح ولكن الظلام لا يمكن ان يحول دون النور الى الابد ان استقامة الفجر تكفي
لأن نغمر بالحياة ودموعه الصافية فيها معنى إنسانيتنا .

لقد كنت أحس بتعاهي تلمس سمعت القنابل يتفجرون في موضوع سياسي
وينحسبون وينساقون أيضاً كنت كعصاة باردة وكان العذاب يعصر روحي ورغبة ملحة
لنزي من الحور الذي كان يشعل كيبي . أي شيء هي الديمقراطية ومعنى هذه الاشتراكية .
والرجعية والتقدمية . والخيرية . . . بعد . . . كل هذا وأكفة من هذا . . . كنت أجهل حتى

...محبوبه الحقیقه؟

— طوطی —

كان الشير محمد ... في يوم الاثنين ليلته الحادية

و احسنها ما جاء في كتابه .

مفتی محمد امجد علی صاحب

من يصدق بعد سنة أو أكثر من يصدق في أول سنة أو أكثر

المسألة الأولى في معرفة ما هي

ما الذي ما السبب في هذه الماحجة ونسبها أحمد .

وسعت و ہر نقول :

في الجاهل من السوء ... لم كلمة انهم الجمع المذكر السبع

کون مکار... فدا کیے؟

صحيح وانا استغربت؟ انها مرسية، لا تكتب ولا تقرأ.

وَقِيلَ اِنْ تَحْسَبُ كَانَتْ حَافِيَةً بِرَحْمَةٍ فَرَحْمَتٍ مَا وَنَحْنُ بِمُحْطِبِينَ رَبِّ نَكَبَ الْخَلْقَ اِلَى

الداخل واجهته، وانتهت الممر مرة أخرى إلى الشرف من إقلاع في انتظار. كنت أريد أن

أقول لها شيئاً ما... ولكنني لم أشعر أخفها... كنت أحدث عن رسالة... فماذا كنت

ما يقول الرجل للمرأة (أحك)، ونكى في النمازة ٥٠٠ في الحال ٥٠٠ حيث

نكون هناك حراً كالماء ونحوه في أنما بالذات هو الذي يعنى الى شراء حساب (البنك)

سيراو ذي سراجاڻو بعد ان ته هندن في اليتم

الداعية الملهمة حبيسة ولكن لم يورث المدعى شي في غير الآباء

كانت صورة في العبد من عاه من حبيبي حاليه قصيده قصيده و 50 بيت بياني

[illegible]

(جواب) بعد حمدت اللہ ہی غیبی ہستی کے نام سے کہنا چاہئے۔

وتمت بحمد الله تعالى في شهر ربيع الثاني سنة ١٤٢٠ هـ

- مذكرة ١٠١ أي مذكرة ١٩ -
- المنشورة في الصحف اليوم ؟
- لا والله أنا لا أقرأ الصحف إلا نادراً لكن المذكرة حول أي شيء ؟
- دفع طلة الكليات مذكرة إلى الجهات المسؤولة حول الوضع العام في البلاد وكلينا
طبعاً من بينها
- سأشترى جريدة لكن في أي جريدة ؟
- أنا سأعطيك النسخة التي عندي
- لا أنا سأشترى واحدة
- ولكني قرأتها على كل حال إشتري واحدة - ست أن أخبرك أن بها كلمة تركي
- صحيح ؟ تركي ؟ لكن لماذا لا يحرم ؟
- لماذا تمنع ؟ يشكون له في كل أسبوع أنه لم يحن كلمة ومدة عدة شهور
- محمود ؟ ؟ أرسله ؟
- نعم
- أذن أرجو إذا كنت له - أنه لم يحن في مصر أخي سركان
- اليوم أكتب له رسالة

لم يكن عمي قل ماء ذلك اليوم قد رأيي أقرأ صحيفة سياسية أدا كما اني لم افكر
ان له رأياً خاصاً بهذا الشأن بل ثم اكن اعلم انه يتفحص كتي ويدقق النظر في مكتي ولعله
لم يكن يفعل الا بعد ذلك الم. حين حلاني فرقة الاستغال بعد العشاء تحدث قليلاً
كعادتنا كل ليلة ونسج الجريدة على المنضدة مع الكتب فأطال النظر اليها ولم يقل شيئاً
إلا ان نوعاً من الرعب يرسم على وجهه وهو يقرأ اسم الجريدة ثم سألني :

- محمود .. ماذا اليوم عندك جريدة . الس .

- اي والله يا عمي أحدثها حتى أغلف بها كتي .

- لكن لماذا لا تشترى حقبة .. أليس عندك نفود ؟

- عندي .. عندي .. لكن أكثر الطلاب لا يحملون حقائب

- لماذا ؟ عجب !

- ثقيله ولا داعي إياها

- الحقبة احسن من الجريدة يا بني

ولمست القمصان . ماذا أجبه ؟ ألهذا لم يأتك ؟

بشكل عجب مع اني كنت .. فيه ولكنه ظهر مستديري

وإذ لم أجبه ناد متابعاً :

- وهل قرأتها ؟

- اي نعم .

- أعجبك شيء فيها ؟

- والله يا عمي يريد الصدق إذاً لا تقل شيئاً لي والله .

- أنت لم تر يوماً ولم تعرفها اي . أنت لا تزال بعد صغيراً وأنت كما تعلم .. لا

أريد لك غير الخير والدين الطيبة ..

- ماذا تفعل يا عمي ؟

- أقدر هذه الجريدة .. وإذا أردت أن يرضي ويرضى إليك فترى كتابي لا يسمع
عها كثيراً

- يعني ماذا تسمع ؟

- يقولون أنها تكفر وإيمان الله مالك ولهذا الملائكة وأنت طالب في الكلية ؟

- حب يا عمي سوف أن يراها من مرة أخرى.

وتركني عمي وهو ليام وقال أن هذا مصالحة الدروس أعدت للمرة العاشرة
قراءة المذكرة . كلمة زكي ابتداء ولكم فرحت بها . الكتابي أما الذي كتبها . كنت أسمع
بأنه عال عجب كلما أعدت فرام . أبي ما أعرف زكي على حقيقة الا هذه المرة . كنت
انصوبه جالساً معي بعدني صورة القوي الثبات ويحبه بي نفساً أحياناً . كانت الكلمة
المشورة صغيرة وبمحسورة في مسطرة وبوجه كلمة (يريدنا الأدي) ونحنها ما يلي :

جاء من السد زكي حسن في الديانة الكلمة التالية عنوان « الموكب الصاعد »

إن الإنسان الذي يعمل عن وعي وانحراف وثقة لأجل الخلاص بما يشوه الإنسانية

ويصبح كرامتها ومن « العودية التي تخلف ظلامها على عقله ومن القيود التي ترسب بها

حربه : أن هو الاضطراب منبه التي تمشي بها الحضارة .

وهناك الخدم جود الذين يسيرون على أن يصب : يتناولون مشاهدة الطريق المفروشة

بالخضار والاشلاء وكأهم . يتصورون أن شهر عيرهم من بعيد الطريق لينحولوا اليه

إن أولئك ليسوا من مظهر المنسحق لوحداني والاحلال الداني والعقد الفكري . وإنسان

من هذا النوع لا يريد قيمة عنه عن قمة حشرة . مع أنه السد أيضاً . حشرة لا أكثر

ورساً أقل .

حسن مريدك شهيداً حزيناً في كل مكان حزيناً لاس في كل زمان حسن

مدينون لهم بما ادبوا من فيه بغير هذا ومنسلل ناصح عنهم • الشهوداء الذين يهتدون
لمراكب الاسانبة طريقه الى الله • • • • • والى كل الاحرار احث يحيي •

• • • • •

واخذت احث من وسطه مفعه بهذا الاسميري وتلقي فلم اجد غير ما ارشدني
الواقع اليه • كان في من كان الشرايع القوان التي سبقت مني وكان لافان موزع لم يكن • موهبي
به لتعدي السلام صاحب • • • • • وكان قد علمت • • • • • والخدمة • • • • • خطرة الفجر • • • • •
بها على النجاة • • • • • ومن السويح والاساويل • • • • • الفجر • • • • • من • • • • • الفجر • • • • •
هو • • • • • حاجته الى الوفاء • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •
وبعد ذلك كنت اعلم • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •
يوم خلطت ان اسعد • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •
عسي •

• • • • • عبيد • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •

والأحده • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •

وتصح •

• • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •
تعطيتها للبتال • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • • الفجر • • • • •
وتخرجت لسامي القوس في مهي •

- حبه يستعملها في الدكان .

- يا بني الشياطين يكن مكان ترى وتسمع ولا يراه ولا يسمعها أحد .

- ولكن - عمي الجريدة ناع يكن مكان في حذاء والناس يشربونها

- صحيح ... ماذا تعمل به - ماذا عندك رايد تسمع الأجبار ؟

ومعنى ان اعترض كان أقول مثلاً - ولكنها ضرورية ... لماذا لا تحب ان

أفراها - ولكن الحياء عند الناس ولعل في ذهني خاطر فأكه ...

اسمح لي يا عمي هل تقصد كل الصحف أو هذه الذات

- لا ... لا ... الكن ... الكن ... انه ندى سائر عليه أترك هذه المسائل

أوصيك يا بني ولا تجعلني أزع عليك بعد .

واضطربت أول الأمر للافتقار عن سرراء الجريدة التي كانت مديحة أول من

هداني اليها - ولكن الأيام كانت تمر مظلمة ... وفي أثناء حين اضغ رأسي على الوسادة

تجمع هموم كثيرة تعص علي راسي وتورقني - ماذا أقول لمديحة اذا سألتني عن المسألة

كنت أشعر بالغبطة حين أصور نفسي وأنا أهدىها عن عمي وأحين ابتسمها الساهرة .

كنت أرى في عيني ريق الرضا والشوة حينما تقطع الطريق التي اعتدناها كل

يوم ونحن نتحدث عن الافتاحية أو عن بعض ما في المحليات أو عن الصفحة الأدبية

وهكذا ... ولكنني بدأت أهرب منها حذراً ... ولا أجد أن ألقى وإياها ولكن عتاً ...

لقد كنت اخدع نفسي لا أقول ولا أكثر .

كانت ادارة مستشفى المعانين المعانين لكلت سمح لغير الخطرين منهم ترك
المستشفى فكل منهم يتجول في الممر بين كتيبتنا وكلية القلب في الخدائق وعلى الارصفة
منهم من يلتقط اوراق الكالينوس اليابسة ويحفظها راحته وبقي المحروق بقصاصة ورق
يلتقطها من الارض ايضاً او يستمرها من يلاقه ويجعل من ذلك لعبة يستشق دحائها
يزهو وصحر . ومنهم من يقوم باعمال الكس والتطيف ولا يبدو عليه انه قد نشأ من
وجوده أبداً لولا مطهره الذي يرسب في النقص سموراً بالخرق

كانوا يعيشون لغير ما سب عدا لكونهم بشرأ يسكون ويصحكون ويتألمون
ويفرحون . ولكن الزناح . . الحرب فيما بينهم هي الوسيلة الوحيدة التي ينهي اليها وبها
كل شيء بينهم .

وكان أحدهم يدعى (حمدوش) صبراً أسمر البشرة بلف رأسه دائماً بغرقة
يعتر بها ويلونها الذي تكون من مجموعة اوساخ وقد ارتدت : أما حينه فكان يصبر على اعمالها
ويستمر بقطع رفته دونهما وكان حين يشد به التطرب يجمع عدداً كبيراً من
المرضى معه ثم يتوسطهم ويشرح في الغناء ندوت عال ولم يكن ليعرجه شيء أشد
من ان يقترح عليه أحدهم (المظفر الحمدوشي) الذي ألفه ولحنه هو كما كان يقول
فحجر واعتزاز

كان زملائي الطلاب يكثر من ذكر حمدوش هذا وعضهم يتندر ويضحك
وأخرون كانوا يندون ملاحظات لم أكن لأكثر بها أول الأمر إلا أنها بمرور الأيام
كانت تؤثر على مجرى تفكيري وتترك فيه انفعالات شديدة . وأذكر أن أحد الطلاب
اقترح على حمدوش مرة أن ينسئ أغنية مشهورة في الجنوب وهي (هل يا غلام هل)
وإذا به يتقلب إلى وحش هائج وكاد أن يخنق الطالب الذي امتنع وجهه وأخذ
يستغيث . وقد أخربنا الأستاذ فيما بعد أن حمدوش هذا قتل أمه عن غير قصد فقد كان
يحبها تعارفاً في إزواجه من فتاة يحب ولم يبين الحقيقة حتى اليوم فقد قتل عقله وعواطفه
مع أمه ولم يبق منه غير محنون : محنون لا أكثر .

ولم يكن حمدوش وحده مثار اهتمام الطلاب بل المرضى الذين كنا نراهم أشياء
عراة في الشتاء الفارس حين يمرحون وحين يحزنون . أما طعامهم فكان نوعاً خاصاً
عجيباً لقد رأيت أحدهم مرة يحمل صفيحة قدرة فيها ماء أسود وظنته ينظف
(دورة الماء) واستفسرت مستغرباً من أحد الزملاء عن ذلك فأجابني :
- الشاي . . . ماذا تظنه ؟

وأجبت والدعشة بادية على وجهي

- صحيح ؟ هذا هو الشاي الذي يشربونه ؟ والذي سمعت عنه ؟

- أعجب ؟ أنهم مدوخ . . . رغم أنهم كما ترى في المستشفى .

ومع أن أحد لم يكن يجهل أن حياة المحنون لا قيمة لها وهي بهذا الشكل فقد كان
لها قيمة عندهم هم على الأقل . ولن أنسى مرة حمدوش ، فقد سمعتهم يصرخون
ويكون يوم مات حمدوش وحمل إلى غرفة التشريح بالكلية الطبية وكانت الخطوة
سبب موته .

ولم أكن وحدي قد تأملت يومذاك لموت ذلك الإنسان بل كنت ألحظ التأثير في
وجوه أكثر الزملاء أيضاً : وهم يرددون « طعنا يموت ما دام يعيش هكذا » وغادرت
الكلية واحساس عفيف بالألم ينهش وجدائي . كنت أمير مطربة وأستعيد الماضي

القريب جداً لذلك الانسان البائس الذي مات يوم ماتت أمه ولكن وجوده لم يمت الا اليوم كنت أسير وأنطلق الى سور المستشفى العالي القديم اذني يفتح الأسى أكثر من أى شيء لم يعرف ما وراءه من الحقيقة

وكنيت قد نيت أحد كني في الكلية عدت لحته وانما بي ومديحة وجهاً لوجه :
 أما الذي كنت أنهرب منها وأتعدب . سألتني
 - ما محمود رحبت ؟
 - نيت كاني .

وحين عدت بالكاب رأيتها تاحاً في مشيتها واحسست بالحرج والرغبة في الزيمة
 تداعب أفكاره الحمقاء ولكني مشيت كمن يمضي لمعركة وما كدنا نمشي خطوات حتى
 سألتني :

- أنيت الجديدة أيضاً ؟
 واجبتها بلهجة تمثيلية أنفتها كأربع عمل .
 - أوه . . . اي والله الكني نيت . لن أعود مرة أخرى .
 - هل قرأتها ؟
 - لا ليس لدي الوقت الكافي . . وعلى كل حال سأشتري غيرها
 - لكن لماذا لا تجدها . . . ؟
 - لا . . . سأشتري غيرها . . .

وتعددت بعض الراجحة تمثيلية في غير موضوع الحديث سألتها .
 - أرايت كيف مات المسكين حمدوش ؟
 - الحقيقة أنني نالمت كثيراً . . . تصور أنهم يمدون بخمعة وسنكل فضيع .
 - ولكن لماذا لا تعالج الحكومة وضعهم هذا ؟

- أتتعب لهذا المسألة مفقودة ولها جذور عيشة
وفي موقف الشرائع أخرجني أن في الجريدة انقلاباً عن كتب صدر حديثاً وأبدت
اعجاباً به لأنها سبق وقرأت (مئة الأولى) .
وذهبت إلى البيت ومعها الكتاب المعلن عنه بعد أن اتعت من سوق السراي .

• • •

وفي العطلة الصيفية بعد أن فرت مدرجات متارة ذهبت إلى الديوانية وفي حقيقتي
فصلحات كثيرة من الجرائد وثلاثة كتب كنت أقرأها أكثر من نجاتي وكان
شملي الشاغل مطالعتها طيلة مدة إقامتي عند أهلي أما في ضد حنف من
غلوائه في الهجوم على ورعه أنه لم يكلمني بوجه لينة ولم أراه منشرحاً إلا أنه كف
عن التلويح الفاسدة والاسلوب "الشمع" في معاملتي وكان يسألني دائماً ماذا تقرأ ؟ فاجيبه
(دروس الصف الثاني) ولم تكنه - حتى اليوم - إلا أني خالتي الضابط ولحق كتاباً
بيدي ففعل داء واسع عتاء لم يسألني :

- من أين لك هذا الكتاب ؟

- اشتريته من السوق . . . لماذا ؟

- ولماذا تقرأه ؟

- إنه كتاب جديد بعيد . . . فيه أشياء كثيرة ما كنت أقرأها .

لكن من أشعرك به ؟

وبدافع الفلق الى عيني من نظرائه التي تنضح لهما ولم أحبه عن الجربنة بل
تفانيت الى اب مكانا :

لم يغيرني أحد : وجدته في السوق فاشترته .
وكان يوماً اسود ذلك الذي أحرقه أبي الكتب الثلاثة وطردي من البيت وهو يرتعد
- الذاب مو ذيك .. التاب ذبي .. ذاب عنك الي ذلك يا أبي الكتب .. اطلع ..
اطلع من مخي كافر نجس

كنت انسى لو ان ابن حاتي كان حاضراً لقول له شيئاً ما لا سأله مثلاً : ما
شأنك أنت بي بعد أن لم تحب علي واحدة أبي بعد جمع ملاسي وحجائتي والعودة الى
بغداد من حيث أتيت .

كان أبي يرسل لي دنانير أو ثلاثة كل شهرين أو أكثر ولم أكن بحاجة اليها عند
كان عسي بكفني من هذه الحاجة وكان مني حساً بأبي فولا أن علمت عد ذهابي الى هناك
بالحقيقة ومنه بالذات إذ اندري قطع مساعدته ! ومع ذلك فما ألتني شيء من حرق
الكتب الأولى التي غرابها . تلك التي رسمت في ذهني معالم الحقيقة . ولم تذكر إقامتي عند
أهلي لتزيد على شهر واحد وفي تلك الأيام القليلة كنت ألتني بعض الوقت مع زكري الذي
كان يبدو مشغولاً دائماً ومستعجلاً . كان يذهب في بغداد كل يوم خميس . وفي الأوقات
التي كان يغيب بها كنت ألتني بعض أصدقاء الطبوعة والمدرسة والتعريب . أبي لم أعرف
أن كثيرين منهم يدرسون أو يعملون في بغداد إلا وفداك . عند مرت شهور السنة الدراعية

الاولى ولا اذكر اني ذهبت الى السينما اكثر من ثلاث او اربع مرات وكان الطريق بين الكلية وبيت عمي هو سبيل الوحيد لمعادني واحلامي . وبعد الايام الاولى كانت مدربي بمديحة واحسانات الحب الساذج تكاد تكون الحافز الوحيد لرواحي وعجبي كل يوم رغم القلق والصبر . ولم أحضر المحلات الكثيرة السخية كانت تقام في المكليات الأخرى إذ اني صرت أبتعد أكثر فأكثر عن كل حفلة او اجتماع كلما تذكرت لخطات الحرج الذي تولاني في حفلة التعارف يوم تركت الشريطة الاخضر على صدري بعد الانتهاء من الاكل ولو لا ذلك لكنت تعرفت على آخرين من أبناء بلدي في معداد على الأقل .

وبيوم عدت الى معداد كنت أسمع على أيام نشرين وأثناء الدراسة لارن تلك الالة الحبيبة الى فني والتي لا تعارف ابداً عنها محبتي ولا يزال صونها القدر بتردي اعتمادي كعم هادي مديحة التي عدت أحسن بحاقي اليها . لا أدري لماذا حتى غزل لي الوهم فكرة أن اغيبها بما صنع أبي . وفي بيت عمي كنت أحتال كثيراً في إخفاء الكتب التي اشتدتها مرة أخرى ومنها اربعة أخرى كان في غلاف كل منها اسم الكتاب الآخر كأنما يتم بعضها بعضاً كقصة في عدة اجزاء متعددة .

وكان يجازي قد جاز من عمي اساءة عكس ما توقعته . كنت اتوقع بعد أن تصله رسالة من أبي أن يعبر موقفه مني ونكر العكس هو الذي حدث ولقد تسنت فيما بعد أن طريقته في معالجة ما يريد من المسائل من نوع آخر غير التي اعتادها أبي وقد كان يقرأ في اوقات فراغه بعض الكتب الدينية والتاريخية ويحفظ بعضها في محل عمله والبعض الآخر في حجرته الخاصة في البيت وبعد أن بدانه أبي أحضر على فراشه الكتب التي لم يكن يرغب في ان يراها عندي أحد بنقشي وقال بمعني شامخ والبراهين الكثيرة التي يستفاد منها الاحاديث النبوية واحياءاً من الآيات القرآنية ويستعين بالحكم والأمثال

ولكن رغم كل ذلك ورغم حججه وبراهينه وتنازلي المستمر له عن اقواله واعتراضاتي أمام الاجهاد الذي كان يبدو عليه وهو يكلمني لم أفكر في أن ألي طله الذي كان يختفي خلف كل كلمة يقفوه بها وهو أن لا أقرأ غير دروسي .

وفي آب من ذلك الصيف وكانت الشمس لاهة والهواء لافحاً والنهر لا يخلو من عشرات الساجين من الاطفال أمام الجراديع ، القيلة المنصوبة على الشاطئ ، الرمي بسحافة الماء وبين زوارق الصيد والزوارق البخارية الراسية . وكان بعض الشباب قد نصبوا « جرداغاً » على الشاطئ ، وأمام بيت عمي تماماً . وكنت اتخذ لي كرسيّاً على السدة عصر كل يوم لامتع بروحي بشتة هذه العنايه الرياضية التي لا تخلو من دلالة على القوة والنبوغ رغم أساليبها الساذجة . ويوماً بعد يوم أخذ بعضهم يحسني حين يمر بي نازلاً الى الجرداغ قيل الغروب . وسعيتهم مرة يندمرون من الصباح النقطي « لوكس » الذي يستضيئون به فتزلت بهم وعرضت عليهم أن يمدوا سلكاً الى البيت فشكروني كثيراً وبعد قليل كان الصباح الكهربائي بضبي الجرداغ وتمتد خيوطه الى صفحة الماء المنساب هذباً رقيقاً . وشرعت صداقتي بهم تتوطد فبدأت اشاركهم في الساحة والاكل حيث أنهم في كل ليلة يشربون سمكة بطريقة « الزكفة » على أن يدفع كل منهم حصته من ثمنها . كانوا اربعة ، جاسم الرياضي ذو الجسم الضخم والمضلات المشوّهة والذي بنكت دائماً ولكن على نفسه فيضحك الجميع معه ، وعباس الصامت الذي كان صت يوحى لي أول الأمر بأنه يلازمه لسبب محترم ولكن تبين لي فيما بعد أن البلاده التي ينصب بها هي الحب وهي موضع سخرية جاسم دائماً . أما الثالث وهو « طالب » فكانت مهمته الغناء فكان صوته وهو يقف أجمل بكثير مما أسمع في الأذاعة وكان لديهم زورق خشبي حديد يمدونه به عن الشاطئ وعند ذلك يشرع طالب بالغناء وكان يجيد حفظ الاغاني الجبوية التي ترحبني في حد كبير . أما وهاب وهو رابعهم فقد كان انساناً آخر يختلف عنهم تماماً في تفكيره واقواله رغم أنه يشاركهم الأكل

والغناء والباحة والتكيت والضحك الا اني شعرت أنهم يحترمونه كلما تطرق الحديث الى القضايا السياسية .

وما زاد الاسوع الاول يمضي على هذه الصداقة حتى أصبحت واحداً منهم فقد كانت عاداتهم شبيهة بعادات أهل الجنوب . ولم أجد صعوبة في سلوكي معهم كما لم اتكلف أو اتصنع تصرفاتي معهم . ولم أكن أول الأمر اعرف ماذا يعملون بهاراً لكن سرعان ما يكشف الانسان عن شخصه اذا لم يكن راضياً عن عمله . فعين المظلوم تام ولكن عين الله لا تنام كما كان حاسم يقول .

كان حاسم مستخدماً في دائرة حكومية ورايه مثيل وذلك هو السبب في شكواه باستمراره او بمرده الذي كان يترافق على نفسه ساء وتناوب على المدير الذي لا يرضيه لانه " اني حاسم " شيعي المذهب بيد المدير سني . وكان يمتن بحسنه الضخم بعض حركات المدير وقد برع في تمثيله سبب الالم الذي كان يعانيه والذي لم يطلع في إخفائه بالنكات والضحك .

أما عباس فكان عاملاً في إحدى المصانع وكان قد مضى عليه ثلاث سنين واذا بالمزبادة التي خلفه ليست سوى صف دينار ولكنه لم يكن يشكك عنها الا قليلاً جداً اذا استعز به حاسم مثلاً فقله " نايم يا شليف انصوب " فبتشامان قليلاً وبتعائن يدها فيقول عباس .

- يا جماعة بالله عليكم برئيسي احسن ... تايهين ؟

ويحيه حاسم :

- انت بحثت ... العمال كل يوم يطلبون مظاهرات

وعندئذ يحرق عباس فيحيه .

- بذكر انت وياهم حاسم اي بحثت ! انت المحدث ... انت لو بيلك خير سموتك

جبر الله .

- أنت تعرف لغوة سن .. أنت أحسن مني ؟ لا .. يعني معاشك أكثر مني ؟ لا ..
- لكن على الأقل أنني كملت المدير بالعرايض والمطالب
- العرايض ما تعدد كل شيء بالأساطير .

وعند ذلك يشرع طالب بفتح الباب لينهي المسألة كي لا تتطور إلى ما لا نحمد عقباة .
وفي أحد الليالي يبرع طالب شمس السمكة وكل ما لحقها من تواضع بعد أن تم نقله إلى عدد
عدد ستين قضاء في العمارة منذ أول توطئة في مديرية النفوس .

وكما في الزورق بعيدين عن الشاطئ وكذا تقربت من الشاطئ الآخر حيث
الخيال الممتد مع المهر وكان وراءه عاصفة عجيبة : وانتهى دور الغناء وأحدن تحدث مع بعضا
وإذا بجانبهم يقفون لوهاب :

- راج نظم قصيدة لطالب ..

وضحك وهاب قائلا :

- لا ... إلا إذا ! لكن من يحزر .

وأجاب طالب نوا :

- إلا إذا رجعت لك الكتب .. تمام ؟

- لا ...

وتابع جاسم :

- إلا سمكة

- لا

وإذا دعاس يخرج من صمته قائلا :

- إلا إذا تزوج .

وعجب الجميع بالتحدث فلم يتوقع حتى وهاب منه ثم جرد عانس المسألة فاستمرق

في التحدث قائلا :

- والله يا عانس أنت تسحق قصيدة

وافقد وجدت كتاباً كثيرة في مكتبته وسألته عن الكتاب الذي أخبرني عنه مديحة
والذي أحرقه أبي واشترت نسخة أخرى منه فأجابني ..

— أنه من الكتب المنوعة إلا أنني احتفظ بسبعة منه .. عوامي .. وعرض للتجربة ..
وسألته ..

— لتجربي عن أي شيء ..

— عن كتب متنوعة مثل هذا الكتاب وغيره .. لماذا ؟

— لكثير اشتريته من السوق في الصف وهو لا يزال عندي ..

— صحيح وهو لا يزال بائع الآن في السوق ولكن كي يشتريه واحد ما .. هناك مثلا

ثم يقدم للمحاكمة نومة حيارته عليه .. لا يبهه عندك عطفيه ..

ثم أحد يتحدث عن أمور لم تكن لحظت سالي أو عرف عنها شيئاً .. وبعود الأيام

كان تفكيري قد وجد ملجأ في ظل ذلك الشجر الذي كان ينمو معه .. كان وهاب في كل

تصرفاته الخاصة إنساناً عجباً لم أر مثله قبل ذلك الحين .. مثل الساطع التي تم تعارفها بها

كان يعاملني حتى كأنه يعرفني منذ زمن بعد ..

أي زمن هذا الذي تعيش فيه ؟ وأية أعناء هذه التي تكاد تقسم ظهورنا .. نحن

وحدنا .. هذا الجبل ..

إن الإنسان هو الإنسان في كل زمان ومكان .. هو الجوهر الذي تكمن فيه الحقيقة ..

ولكن عطشه لا يظفر إلا بظهور الحقيقة .. حقيقته هو .. الحقيقة التي نقول إن الإنسان آمن

ما على هذا الكوكب من الموجودات وعنه من ها يدمي دائم الألم لأنه هناك من يحاول

مسخه والتجارب التي يعيشها .. عرض على ماهيت لا .. مرارة التجربة لأنني شيئاً في طير

البريق الخفيفي للإنسان إذا لم تكن تلك التجربة قد هبأت مضايحاً في طريق الحياة وهذا

٥. الزمن الذي تعيش فيه .. ليست العبوة في الزمان كل شيء .. أو أنا محب فتخيب قياس

أو مجموع فتمرد وتبور .. فلا أليس في ذلك الذي أنا نحن أبناء هذا الجبل ما أن تكاد

تعضي حطوة في طريقا حتى نجد امرئنا في موقف طريق كثيرة وسؤال ينصب امام صائفا
شكل مفرغ إلى أين ؟ ان متاعنا في هذا السبيل ... وهيهات لمن يحيط به ثقة قلن
يتخطون هم وحدهم العاجزون عن الامانة

واقد كان على ابواب السنة الثانية من حي دراستي في الكلية نفس ذلك الموقف :
(الى أين ؟) وكان نوع من الغناء والرعب محربي على مجرد التفكير بحد ما ، ولكن
مدىحه كانت تقاوم أو استحيى ، عواطفهم هي التي كانت تحاول الوقوف بوجه التردد
والخوف ، لتقول شيئا للتاريخ فالألمة الغريبة هي التي بعد الانسان في هذا عالمها
وهي تاريخه ايضا ، سيما اننا انشغلنا تلك السطحية ، تلك النفس ومعرفة الحق والعين
لأجل ان تكون حرائره الفصل عما هي عليه ونعلمت ان يكن موقفه ، فيقدم للمحاكمة فربما
وكان ممن يردد على مسامعي كل يوم صباحا ومساء

- ابي ابي علي ، انا بس عليك ، انا بس عليك

واجبه مندهشا

- لكن ماذا علمت يا عمي ؟

- انت تعلمي علي ، اني لا اري ؟ لا اسمح ، كل يوم ياخذون واحد
ويقتشون البيوت ، هناك ملء المصائر ، هناك السياسة لا يعود لك من الوطن ، اللهم
استر علينا بترك الحبل

وكانت اذهب الكلية ، مستديرة القوالب ، تحجب في راسي فتعزى شعاعني وجرأني
الى اجسادنا وحديثي لافول المديحة شيئا ما ، وفي صباح يوم حدثت مديحة ، شرحه
غاية الاشرار ، فجأني بقوله

- عندي شيء لك احب ما هو ؟

- كانت الدهشة ، وخرج يقول لي فقط : ههههه

- خير ان شاء الله ؟

- احب ما هو ؟

ينفذ إلى الجسم رغم ملابس نحيف استرى هو مادة مستعملة بسعر زهيد جداً واكتفى بأن
خسر عليها ربع دينار عدد الكثير لأمره ما علبها من وقع .

في حين ذلك يشتري الكتب ويعد مذاقة ألبانها ويعبرها ليدأ وذلك لكل من يرغب
لم يكن أحد يشعر أنه يحضر فكرة مستقلة في هذا الخبر . كان يقول لي دائماً :

« أنت لا تدري . أنت حديد من الآلاتك ما أظن مثلي ثعلباً ولكن أعلم أن

ليس في المحلة كلها مكتبة واحدة لا توجد مواهب قائلات في كل مكان ولكن المدارس لا

لا تعني بشي من ذلك أبداً . هذا من أجل أن الناس يقولون أن توجد مكتبة ومادى وجمعية

أدبية وجمعية تغارة بحيث أن تصل الخزانة إلى ما تقدر أن تجد من كل شيء هنا

لا يحضر من له أن يقرأ حريصة على بعض المصحف من القرآن . هذه الحاجة بحاجة إلى

كل ما تطلبه الإنسان لكي لا يفتقر إلى شيء من الأشياء . ولكن من مع .

هذه الحال الجسم التي لا تجد فيها كرامة كرامة كل كرامة وكل كرامة يحمل

هموم الدنيا كلها على صدره وتلك التي لا تجد فيه شيء من العصب . مع الرضا

وبحاول إيجادهم همومه والفكر ينشأ من الآخرين والامانة حتى أصبحت الذين لو طالت

صليتي بأكرهم كما أن يكونوا تحت فـ

وهذه هي الدنيا كلها

أو يقول آخر أنه

أنت تعلم هناك من غيرك من

وقد التفت إلى ذات مرة وحاولت أن أفهم

أرى أن كل هذا حين

كنت أحسن إعراباً

سبية ولكن لم أضع هذا في

وهو كمثل ما كنت في

المحظ أن عسى

الخبرة لاتصلح لك . أنت صغير بالجنس .. أنت صغير ..

الكن يا عمر لي اصدق يا من الى هناك بك (البحر) هي يا حوت مائة؟

٥٠ - الأثر في القضاء والسياسة العامة في القضاء

دومة . . طاق طيق ولعوة الراية . الفد ؟

[illegible]

عظم اربابا حه :-

محمد بن عبد الله بن عبد الوهاب لا يعجزني .. أي سارع معه لنيل كثرته

? F 1214

١٠ - يقول الجرائد في التلخيص: «...»

بسم الله يا عمر الخياط اعرف في هذه المحلة الحارة منية بداره صديقي

أما في سنة ١٩٤٠م، فقد كان عدد السكان ١٠٠٠٠ نسمة.

وَقَدْ كُنَّا يَوْمَئِذٍ بِمِصْرَ

الكرهيات : لقد حوت على خير كثير ، فلو لم يكن فيكم من يفتقر الى هذه الحروف لكانت قد حوت على ما هو اكثر .

اقوال عمی شہا کیرا نا کب سده دیر ابرق زکی صلیحی .

كتب اليه بريد من اهل مكة في سنة ١٢٠٠ هـ

[illegible]

ما جعل كلما هممت بفتح هذه المسألة وكان لي في القلوب ما يصحح به من الجبائر

في ان لا ارضه بعرف شئت و عرف بده "اللزلة"، لقد كل شئت كثيرا حتى لم ارضه

ضمان الوقت والحيث والجملة والاشياء الحياتية والحيث الحياتية والحيث الحياتية

على فائدة وحرارة كات محلي، غداً في محلاته في الساعة ١٠:٠٠ صباحاً، وبعدها في الساعة ١١:٠٠ صباحاً.

كان يقول «كنت صديقا» و «من حسن حتى اني لم افسد شيئا» في نفسه «

وہابیوں کی یہ دعویٰ ہے کہ ان کے پیغمبر نے کہا تھا کہ میں ایک ایسا نبی ہوں جو اپنے پیغمبر سے پہلے آیا ہوگا۔

بالفكره السبعه التي كانت تكبر خلف تلك القصور المظلمه...

وسأنتبه أن يدوي :

- إذن وهاب شعره تفتت غيبه

وأجبت وهاب تواسع

- يا شاعر يا عمر لا تصفقه . كعب في كعب

ونكر حاسم عاد فأكد .

- لا والله انه شاعر وإنما صدق فداني لك الحريدة أنت أصدقته .

قلت أي حريدة

وصمت قلعة كعب سي الأسير فأجاب فقال :

أطش بالعلم العربي

وانعصر جاسم قتلًا

- لا لا لا . إذن الموحش لم لا تذكر لمن انه شيطان

فقال وهاب :

- بالاهمال

والساحني ما جاء من الفرج وسميت كبر حساسني حتى كنت أهدر من سحابي
وامساحه ثم تابع :

- لكن كان ذلك منذ زمن . ليس الآن . . . نوحطنا وانتهت المسألة .

- يعني بركات الشعر ؟

- لا أنرك الشعر . . . بل الشعر . . . وفيه سبق .

والفتت إلى طاب . كأنه يعتمد تعبير المومع قتلًا :

- طلال الله يحبك أغنية أرجوك بأبعد أرجوك .

وعاد به الزور في يدهن وتنت سعيداً أنت أغنية وشعرت بأن الحياة لا قيمة لها من

غير أصدقاء خبيين كيؤلا . غداً أي لم أفض وأسمع الأسماء قليلة .

ورفعنا أتمود الجرداع . سبها السجعة ونكر صدقتنا منه . كان وهاب هو الأول

صديق كسبه في بيتي الجديدة فقد وجدت فيها كثيراً من ركني لو لا أنسه بفعل
الفعالات عجيبة أحياناً سبب، إذا احسنه القائل السببي بهم حتى يبدو وكأنه شخص آخر
الا أنني كنت احترمه كثيراً فقد عرفت أنه يحرص على اقتناء الكتب الجديدة المجددة وأن
الكثيرين من أبناء المحلة يستعيرونها مع أن منهم من هو أقدر مني على شرائها فوهاب
لم يكن غير موظف بسيط معمول وكان يقول عن نفسه « السببي في كوني معمولاً »
وحين ابتدأ الدوام في الكلية كنا نذهب دوماً كل يوم إلى عداد . وهاب إلى عمله
وأنا إلى الكلية . كان يشير لي بيده نحو شاة الدائرة التي يعمل فيها فقلنا :

انظر أن ترى ؟ أنا حيس تلك القلعة

وكان دائماً يردد الموظف ؟ الموظف مكين الوطيفة لا سفي على شيء . ده ايها
ستص حبانك ونظفك كما ينصر اليد القوية ليموة او رمانة وتلقى بها إلى القمامة ومع
ذلك هالشباب يعرفون من الموت إلى الموت مع الأسف الشباب أجل الشباب .

٦

كانت صداقتي مع وهاب أول الأمر لا تعتمد على الأحداث المجددة وفي أكثر الأحيان
يكون هو المتكلم أما أنا فأصمت إليه . كان يحدثني كثيراً عن وطنه وما يناسبها من
أرهاق وتأثير ذلك في صحته كما يشكو من تأثره المحسوسات والمنسويات التي هي أليست
في تخلفه عن زملائه الذين ارتفعت روافدهم إلى أرواح عجيبة وكنت أظن أنه حين يعرض علي
تلك المظفر من حياته . كان دائماً يعيد صفاء القلب ويضع من أصداء الذي يريد . وكان
ساحراً أيضاً ولعل من أروع الخيالات التي عاين وبلاطها هي السببي في حداثته وميله نحو الكتبة
التي كانت غصت أكثر فأكثر .

وحين عرف رغبتي في المطالعة وحياتي في الحفظ الكتب عرّض علي ألا أشتريها
وأظهر لي استعداداً لروايتي التي كانت أروع . فقلت أستعير من الكتب أو الآخر .
كان دائماً من ضرر شخص لا يفهم مظهره في شيء . فحي سبب حيث الهواء البارد

- بضاعة خفيفة ؟

- لا !

- كتبت حديد ؟

- خب عن زكي -

- لا !

واراد الحيفة التي ارسلت على قدامتي اخرجت من حياها قطعة من الشئ لولائه
واعطيتها قائلة :-

- حديد .. خرج شوكت من السجن .. وهذه بالثقافية ..

- بهاني الحارة ! متى ؟

- أمس !

ثم صممت قليلا وازمنت :- أنت لانعرفه - لكن سبتم ذلك في المستقبل

- على كل حال ارجوان تهيبه بالثبات عنى

- ولكن لما دال اناني عدد ؟ فقال سأعرفكم بعضكم !

- تكلم ! لكن لم نسمي حيا من عن زكي ؟

- لا لكن ربما بعد محاكمة في عدائ .. هنا !

ورفرت زهرة حذيفة لم تسمع :

أرى يحيى واحد ويروح آخر

فالت دالك وهي تسمي ولكني صممت جيدا أي ان كان يعلى في نفسها .. ووجدتني

أقول بكل ساطعة :-

- وماذا يهمك انك حسن لمرجل !! انا صمت ذلك لأن تلب الذي سجن من

أجله لكن قد وضح لي ! ولكنك اعترضت وكأنها ضديقت من قولي فأجائني :-

- يعني لمرجل فقط !

- لا .. لا .. ليس هذا قصدي .. إنما أقصد ان الذي يطلب الحق لأبيه

السجن وغيره ولكن ماذا ظننت ؟

- حيث أنك تقصد ان السجن للرجال فهو ليس الكثيرات من صديقاتي في السجن ...

- كيف أعني هذا ؟ مستحيل انه مثل يقال ...

وانتمت فذهبت اليها فدركت قصدي من الأقوال ولكنها تعمدت الاعتراض وعادت

مسألتي :

- اذن ستأتي لزيارة اخي

- طبعاً لكنني لا أعرف مكان البيت

- سأؤلك الاذن

ورسنت على علاف كتاب كان يدي مغطىً بشمارخ العدوى وبعض الشوارع

الفرعية ووضعت اشارة حيث يوجد البيت .

القول انها لم تعني بعد ان دعيت لزيارة اخي . بعد ان قدمت لي قطعة الحلوى .

او بعد ان اختصني بمرحلتهم . ألمدكن ذلك لا يعود لي ان اصارحها ؟ ... ان اطلق

قلبي من الأسر . قلبي الخس بهز حدران الخفاء والحجب والخوف . ولماذا لا أستطيع

ان اصور قصتها بعد ان عرفت اني احبها ايمنكن ان مزعل . بالعكس انها ليست غير

او هلم أو شكوكك ... انها تعني مصيبت لا ترى احادها . ولا رايها هي .. وكانت الاسئلة

الكثيرة تعصر دماعي وتشتت الشدة التي كنت احبها . لم اكن أعرف أحداً من أهلها

أبداً ومع هذا فهاذا زاهب لا ترى احاد الذي لا أعرفه ولا يعرفني ولم يكن ذلك وحده

بفلفني بل ان الحواضر المتضجرة كانت ترمي انواتنا من المواقف المخرجة . ماذا لو لم أجدها ؟

ماذا سأعمل ؟ ومرت في الشوارع الراسوم على علاف التفتتبات وأنا انطلق الى الابواب

بحيرة وفق ولم أخط شيئاً ما يدل على فرح وانهاج كما توقعته وهما سمعتها تتاديني

والتمت ناداً بي خلفت البيت ورائي خطوات وتقدمتني وما كدت اختار ممر الحديقة الصغيرة

المحيطة بالبيت حتى اقبل شاب في عنوان الشباب وعرفتني مدبحة ... اخي شوكت ...

زميني محمود . ورحب بي كأخ صديق ثم فدني الى العرفة التي كانت تضم اكثر من عشرين

أراداً وبدمني لهم سريعاً وساطحة : قدم لكم الآن محمود ..
ومضت دقائق وأنا في شبه حالم من الذهول .. وكنت أسمع جيني بين فستحة
وأخرى ، رعم الضحكات المريحة والسكات الكثيرة التي كان شوكت يلطف الجو بهساء
فلم أجد الشجاعة على غير الانشغال فقط .. ومضى البعض ولكنني لم أرح مكامي ، كنت
أتمهل في مقعدي مضطرباً حزيناً لا أدري كيف سأأجو نفسي من هذه الوجعة ، التي لا
أعلم لماذا ألقت نفسي فيها

كان يهتج حاضراً ولعلته صامت أكثر الوقت ، ربما أتمهل الانشغال والضحكة
السمحة المذمومة في حين كان شوكت يتكلم بصوت هامس ، رزين .. فقد تركنا عدسة
معاً ومضت الى صديقاتها كما قالت : اسلمتني الى من أكره أهلاً له أرحته من المواقف
المرحة ولكن هكذا كان .. كان مطهري يرحم معي حقيقي ولكن عواطفه الحقة كانت
تدفعني الى اللب فتحة في هي أيضاً كالماتة ، فربس الإنسان انباء كثيرة مومة في حياته
ولكن أنسى مثل أحداث سحر سياسي : سمع لأول مرة في حياته يتحدث عن الوظيفة
والجباية والشعب وال... وال...

وغادرت البيت بعد أن أوصفني شوكت في آنياب وكان معي شاب آخر وجمعتنا
تلك الصدقة في ذلك اليوم وأهمني هو أيضاً حيث أرحم لم أكن أعرفه قال لي ونحن نقطع

الطريق القصير بين البيت والطريق العام :

— تصور شجاعته !! مصلوه من الكلبة ومن الوظيفة وهو هو .. لم يترجح عن عقيدته أبداً .

كنت أتمنى أن استفسر من شوكت عن زكي إذ سمعت أنه حكم عليه بعد محاكمة سرية ... لأنني حين سألت مديحة عن مكانه أخبرني بأنها لا تعرفه إلا أنني رحت أبحث عن وسيلة ما للاتصال به ثم عائلته .

وبالها من أيام نالك التي كنت أتلهف إلى معرفة أي شيء عن زكي كان انهم بضمط على عواطفني بضع فأرواح أسأل وأسأل حتى وجدت يوماً من مصحفي أن أهال من استلني عنه لأن مصاحبه هو ومصحفي أنا مدعو إلى ذلك لكنني لم ألتفت ولم أبه به كنت أتمنى أن أودع السجن لأكون محبوس وجن سمعت مديحة ذاك مي أجاتني مدهشة وبعدة ..

— محمود انت عاظمي ! ما ذا نقول ؟ ما معنى هذا السني .. كل منا يجب أن يفكر تحليله من السجن بنينا أنت ؟ هه .. هذا غير صحيح .

ولكن الأحداث هضت على عبي ما نمتي كلاماً .. نعم رغم أمنياني وأمانها ، لقد تأكدت حينذاك أنني أنال كثيراً لأجل زكي . فك عرفت سمو الدواعي التي سبها صديقي القديم العزيز .

٧

لم يكن نشاط الطلاب السياسي بعد شاملاً من بعدهم في المحاللات الأخرى فقد كانت أقام حفلات موسيقية كثيرة في كلب عزف وم بعض فصح الموسيقى الكلاسيكية كما كان الطلاب يقومون برحلات كثيرة إلى الضواحي أو إلى خارج العاصمة أحياناً إلى غير ذلك من المماريات التي كانت الفرصة مواتية لها حينئذ ولكنني لما كنت أحضر أو أشارك معهم إلا نادراً .

لقد حضرت مرة أحدهم من حفلات الموسيقى ولأزمت حتى ليوم كلما سمعت

(بتوفيق) استعيد تلك اللحظات التي كلف مرث ، محاطي أحسن مداراة الحياة والبأس
تعمان فكرة الحب في رأسي

لم احضر تلك الحفلة الا لأرى مديحة فالواقع اني لم اكن أميل الى هذا النوع من
الموسيقى . كنت أعتبر طرباً اذا سمعت الحان الريف وغناءه أما ان أجلس صامناً لأستمع
لموسيقى لا تحتلج لها عواطفني فهذا ما كان يدعيني الى السخرية من نفسي في اكثر الاحيان
ومع ذلك فما دامت مديحة تحب هذه الموسيقى وتقول انها دليل على الذوق الرفيع فلماذا
لا يكون ذوقي كذلك ؟ وقد كان يهجت يشرف على تنظيم مثل تلك الحفلات هو وزميل له
ايضاً لقد كان هذا الطالب ذكياً فكنت اسمع انه اول صفه دائماً . كما كان لبقاً في حديثه .
مرحاً وظريفاً . يقف بغاية الفارعة بجانب (الكرامفون) وسبماً ، ايقاً ، يشع من عبية
يريق الطمأنينة ومظهره يوحي بأنه واقف من نفسه . كان يعضه بعض الحفلات خارج الكلية
ايضاً ولكني لم احضر واحدة منها أما في الكلية فلم احضر سوى تلك المرة التي مقته بعدها
حتى اكل الندم ذلك الوقت بعد حين . وفي الحفلة كنت كمعزفي من الطلاب انظر واستمع
الى تعليقاته الطيبة عن الغبطة الموسيقية وهو يتكلم بهدوء والابتسامة الخفية لانه ساروق
وجهه . وتغريته التي كانت تلتقي حيوياً حبيب غير اني كنت ارى وجهه لا يتفك يحول الى
حيث كانت تحلر مديحة . بل ديفة وأخرى ثم تنعج انشامته تلبلا ويقل رمش عينه .
وحولت اهتمامي الى ما كانه وإلى انشامته وإلى حيث تحلر مديحة ولم اضطرب اول الأمر
فقد كانت احسب ان الطالبات جالسة بجانبه . وشي من الملاحظة احسنت الظن به وقلت في
نفسى لعله يعني تلك التي بجانب مديحة فقد كانت حميدة ايضاً ولا تملك ترمقه بنظرات
خاوة واحدت الحقة بظراتي المنمصة حتى انفتحت بظرة سريعة خائفة لم يفهم منها شيئاً
ومرة أخرى انما احسنت التفريق منه . كانت عيني تدلله على انك تظن انها هكذا .
ومرة أخرى انتم . ثم ضحك ضحكة خفيفة وصحكت مديحة وبهجة والتالية الاخرى
وبعض الطلبة القريين منه ولم اهتم ماذا . بل لحظت ان بعض ينظرون الى حيث نظر هو
ثم ضحك . وكان احد الشبان جالساً امامي .

- خفة ثم أكثر من اللام . رأيك ؟

وكانه ضرب على الدبر الذي يريد فأحس به .

- صحيح لأنه صعلك بلا سب ..

- لا . السب ؟ السب حفة الدم يا أخي !! انظر .

وشعرت بشي - من - عدم الارتياح لخواه لأي أحسنت به يعني مديحة أيضا
بملاحظته . و انتهت الحلقة وأخذ الطلاب يعادرون القاعة وتباطأت متعمدا فإذا بهجت
يقرب من مديحة ويكلمها ثم ضحك كل معاً . وأحسنت في تلك اللحظة برعة فورية في أن
اشبه ضرباً ولكماً . ولكن السمك كثير ما يتنوي في مطاوعة جميع العواطف النائرة ..
وفي تلك اللحظة بدا لي أنه عرفها يوم احتسها أما والله أحبها يوم بدأت أعار عليها
و كنت اتعجب لأنها هي لا تعرف أبي أحبها . وكنت أشعر بشيء من الراحة كلما تذكرت
أن هذا الخافس الذي حاز نقباً إلى نفسي في الصف الرابع وأنه سوف يبعد عنها أكثر عند
ما يخرج وانعزل من هذا الكامس الثقيل ألا أنني لم أظن مبرأ بعد أن علمت بأن حيلة
أخرى ساقم واستحضر ما مديحة لها وأحسرتها في أن احضر فدألتني متعجبة بماذا ؟
وفلت في نفسي لماذا لا أقول الحقيقة . لكن كيف . وصحت أيضاً ولم تعرف هي الجواب
وكذبت في بيان سب اختلافه .

وانهتت بشارت الجميع وأخذ الطلاب يسعدون به . كل ياتخرج مشروعا ، وعضوا أنني

من (الكرازة) بعد أن أخبرتهم مديحة ذلك فدألتني متعجبة به .

- هناك سببين كثيرين رأيك ؟

- لكن لا أعرف أحد من أصحابها !

- لا تخف يا اخي .. يعني راح ياكل الاشجار ؟ ذر لنا طريقة ، يعني بالعربية ..
 .. وروس واحد منهم ..

وقال اخي ..

- يوم جمعة .. نروح من السج برجع العصر ..

ونفقت مديحة :

- اي والله فكرة حلوة ..

تم التفتت الي وفانغت ..

- محمود اسمع القواكه م نصبح بعد ول يطلع اصحاب الستين كذا اعتقد ، انظن

ايهم ينامون ؟

ووعدت الجميع بتدبير المكمل وعليهم ان يستعدوا

وفي اليوم الذي اتفقا عليه كان هبات صححي فد طلب اجازة بعد ان احبته بالمسألة
 ورجوته ان يحضر معي وحضر كذلك طالب طالب الذي كان يعني وصديقون بحرارة :
 لقد اعطاء احدهم بعض الآيات الالهية فقرأها وكانت انا وطلة حساسة وانصدي ذلك
 التصديق لا يزال يتحارب في اعماقي .. وكان فلاح الستين اسامياً طساً الى الفصحى حد .. كان
 يردد دائماً ..

« تعال يا كذا الفلاح .. بوكت الشمس على العين والراس .. »

لقد ترك الراس غشمة ذلك اليوم ومهد له مكاناً تحت اشجار النارج حيث وضعت
 الخدوش واكبس لاهضته فخلال الرجز لا يملك بعيد .. اني حلال مكتم ما كثر بالستين
 شيء .. حلمه كما يحبوه .. لا كبري شيء .. وهم يقولون .. « عمي اخلافتك كافيته » ووجهك
 يكفي الخ ..

كانت من حصين ذلك وبينهم بعض الغالبات ومديحة ايضا وكانت تعلق على
 كذبيت انه نصوص وكان اكثرهم لا يعلم اي شيء من هذه القضية في اليوم حتى ظن
 بعضهم اي ان عمه حاد استنار لعمري المجردة التي كان يعاملني بها الرجل الطيب ..

وانشروا في أرجاء البستان الكبيرة وأيديهم آلات التصوير وكانت الفتحكات العالية تختلط بأغريد اللابل وزفرقة العصافير . وبين حين وآخر يستد الفرج أحدهم فيرجو من طالب ان يعني ثم تطلق قهقهات حرة غوية وتصفيق تدعوا له الطيور فتصفق بانجحتها هي ايضا منتقلة بين اعالي الاشجار . وما أكثر ما كان ينفي كل جماعة ماخرى فيما هم يتفقدون بين الاشجار وعلى حين عزم سمعت مديحة تداخني " حاضر " وهي توجه الكفرا بحوي فاستدقتها لحظة واذا طالب آخر يلتفت لها انا وهي - صرة وما أكثر ما ضحكك لذلك الصورة حين رأيتها بعد حين وقد ظهرت بها وابا انبوي فبعيني بها هي نظر نحو الكفرا الموجهة بحوي .

لم يحضر بهجت معهم ولم ادر ما السبب في اناسها فقد شعرت بارتباساح شديد لبعده . كنت لا اريد حضوره ولكن لم يكن لدي وسيلة لذلك كنت اخشى ان يحضر فيمكر علي ورحتي ولكنه لم يأت وهكذا مر النهار وابا سعيد : كان الضيوف يبالون ويستفسرون كثيرا ولكنني تركت لهم هبة مهمة الاحاء على استئلتهم الكثيرة فلم اكن لأعرف عن جرافة هذه الأرض الا شيئا ناعا بالنسبة لأستلتهم المتلاحقة : وقد يتروع هاهنا فترح لهم حتى ساءت سمعة هذه الأرض بالكرادة وكيف ان هذه الأرض كانت تسقى " بسطة النداء " التي تسمى (الكرونة) فسبت كذلك وحين قال احدهم انها " جنة يا اخي كيف ستكون بعد شهر " حقة عن ، اجده وهاهنا الذي . لقد عرف الانكليز فلما هذا المكان . واتهموا له . كما وانزلة او حصة وبهم مديحة والله جليل .

.. الانكليز ؟ قال برادلي معه : كانت المس بل (BELL) مكريرة التدويب السامي في العراق تصطاف هنا ولاجلها وجد " الطريق " الذي جثم منه بعد ان وسع فصار شارعاً : لقد استغلوا من اول الامر حتى طبعنا انهم لم يفتحوا شارعاً ولا نصبوا جسراً الا عند اقتضاء مصالحهم . كانوا يصعدون فقط ولكن بعد عشرين سنة نصبوا جسراً عابها وفتحوا شارعاً هو الذي جثم منه ورموا الجسر بنهاه الخربوي في الشارع كما رأيتهم يترقص السيارات فوق الجسر الكبر في

وعادت مديحة فآله والى أبي يؤدي هذا الشارع ؟ فأجابها الى النهاية ... الى
«الدورة» فالتهم يحيط بهذه الارض ايما شبه حذاء الفرس تماماً أو شبه حربة. قولوا
ما تشاؤون ولكنكم كما ترونها ... حبة ... لكنها مهجلة . والتفت مضطرباً صريرة
فيما كان وهاب يتحدث .

«فل . بعد الغذاء جازنا الرجل الطبيب بقدر كبير من اللبس وفيه قطعة كبيرة من
الريشة ... التي إيسار هذه» لقد كانت كل ساعة الملاحين وساحاتهم وكرمهم تتعطل
وه لقد سمعت يتحدث وهم يمررت حاملاً على رأسه قدر اللبس متحماً نحو مكان الاطعمة
تحت الشجار التاريخ وبعده لاشكره . تاركاً وهاب يتحدث فقال لي الرجل : التسلايم
يعنون اليسرى الله يحفظهم . قلت اي والله يا عمي ... يدري بفداء مثل الحبس فأجابني :
صدك ... صدك ...

بعد أن شكره قال لي مستكراً :

«رحمة ؟ لا عمي . لا ... انتم اولادنا وحققكم علينا وهذا مكانكم»

فيما هو يعود استوفيه اعدده راجياً . عمي من فضلك خليني اخذلك صورة .
واتسم الرجل ابتسامة ضمت فرجة ورضاءه ثم وضع من غير تكلف او صنع .
واذ حان موعد الغذاء كانوا يتطعمون من كل الحوائط أربعة أربعة خمسة خمسة
واحد من هذا وآخر من هناك . لقد أعجبني حرصهم على الموعد ايما اعجاب . وكان
الغذاء وانتهي ... ثم الغذاء والامشيد ايضاً ولكن أي عاء وأية أمشيدي ؟

وأصر الجميع على أن يسيروا على السدة المحاذية وبدوروا حيث يدور النهر ومضى
وهاب يؤشر لهم موضعاً : هناك في الجانب الآخر أنزلون هناك قصر الزمير ... هذه
الدورة ، هناك على الجانب الآخر أراضي الشيخ ... هناك أراضي الشيخ ... هناك
أراضي الشيخ ... تلك بيوتهم ... وهناك سيكون مصفى النهر ... اسم سمعتم به طبعاً
فاحاب كثيرون طعماً طعماً ...

كانت فتاة لا أعرفها ولم أراها قبل ذلك اليوم نلابم مديحة من الصباح حتى العصر
ولا تعاقبها وقد شاركها في كل صورة التقطت لهما تقريباً ، أما بهيجة فقد كانت نصحت
الطائفة التي كانت تجاور مديحة في الحلقة الموسيقية ، وكانت الفتاة العربية تبدو حبيبة الى حد
كثير لا تضحك بن تتسم فقط ... وكثيراً ما تهمس في اذن مديحة تنظر على وجهيهما
علامات الحد كما رأيت اثنين من الطلبة يقفان مبهما اكثر من مرة فيكلمون جميعاً
بصوت خافت .

وسألتني مديحة عن وهاب ماذا يفعل ... أين يعمل ... وأجبتها من غير أن افكر
شيء غير الجواب لدانه لا اكثر قلت انه موظف ... وهو شاعر ايضاً ولكنه نـ ...
الشعر ... الا انه يقرأ كثيراً وعنده مكتبة ممتازة

وقبل الغروب حين ودعاهم أما وهاب لحطت مدى الحرارة التي كانت تدفق من
كلماتها وهي تصافح وهاب وشكره .

وفي اليوم التالي سألتني وهاب عنها فقلت له — أخوها صديق زكي صديقي الذي
حدثك عنه وقد خرج من السجن قبل أيام .

فقال ضاحكاً وهو يضرب يده على صدري ...

... لقد لا حدثت انها ، كلما تترت منك بحمر وجهك ويخضر ويصفر ما القفصية ...

— أنا ! ، أنت واهم .

ولكنني بحثت له بكل شيء بعد ان استملأني الجدول قلبه لا وبعد ان عرف اني

أحبها صمت وراحت انامله تعبت بشاريه كعادته ثم قال : —

- اسمع ... لقد فشلت مرة في حب واحدة ... تريد أن أضحك لكن لاإنها
على ما يبدو متفقة وسوف لن يكون معبر عواطفك كمعبري .

قلت له :-

- المحبت أنت أيضاً .

- ولماذا ؟ محبة ؟ ولكن يظهر أن الحب أو هذه الكلمة أصبحت من السخف
بحيث نضحري القول كلما سمعناها

- بمعنى لا بك فشلت كما قلت ؟

- لا ... لا ... كتاب الحب في مصر هم السبب في تقزوي من الحب رضى
الله عنه وهم السبب في فشل أيضاً فقد كانت المرحومة (حبيبي) تعجب كثيراً بطريقة
الحب تلك ...

- وسأله مستعزاً : ما القضية ؟ ماتت ؟

- ما أكثر ما سأل ولكن أحب استئذني لأنني اعتنق الأديمة كما تعلم والآن
هي مرحومة لأنها تزوجت (ثوراً) له أعبته في عالم الثيران وأنا أحسنها لأنني لم أكن
أريد أن أجعلها بقره ، إلا أن أكون ثوراً ومضحك ضحكة عالية وهو يقول :- أنتظن أن
ليس هناك ما يشغل الإنسان غير حب امرأة



لازلت حتى اليوم أستعيد يوم الجمعة ذلك الموضع نظرائي في التصاوير التي أحفظ
بها حتى كأنها مراد لحقيقته فلكر منا جذوره ، كالشجرة تماماً لا تأتي ثمارها إلا إذا نيات
لها أسباب الحياة والانسان أو عقل الانسان كذلك . إن شمس المعرفة اذا اشرقت على ظلمات
الفكر فإن أرام الانسان قضى ، ونبقى كذلك ما دامت الحياة وما دام الانسان
ولم يكن يوم الجمعة يوم متعة ونسليه ومرح فحسب ربما كان كذلك بالنسبة لي في

حينئذ إنما الحقيقة غير ذلك والأفلاذا لا زال اذكرك من بين مئات الأيام التي طواها
الظلام .

لقد استعدنا ذلك اليوم معاً أنا ومديحة استعدته مع زملائي حين تحدثنا عن رحلة
أخرى في الربيع حين تفتح الأزهار بالوانها الفاتنة وتعطر الهواء برائحها . أيام الربيع
حيث تغني الطبيعة أغنياتها الأزلية أغنية الحب والهناء والصفاء أغنية الطمأنينة والامل
والإسكان يعيش أكثر أيامه المظلمة وهو بجرة أيام الربيع ويردد أغنيته . لقد ظللنا نسعيده
ونذكرك حتى جاء الربيع وكانت مديحة فرحة كأطياره جميلة كأزاهيره . كانت تبدو في
الكلية أجمل من زهرة الأفحوان عند الشروق . اذا ضحكت فبهجة الحمامة الطليقة على
شجرة سامقة واذا تكلمت فعطر الباسمين . يضح من كلماتها . أنني لا زال احتفظ بتساوير
يوم الجمعة ولكن صورتها تلك ستميش لي إلى الأبد . وافلت صاح يوم من أيام الربيع
وذكرني بالوعد قائلة :-

- عمود نحن في الربيع .

- صحيح وهو جميل .

- والسر إلى البستان ؟ متى ؟

وتذكرت ... صحيح لقد وعدتها هي والرملاء بأن يأتوا البستان في الربيع ولكن
الآن وفي هذا الوقت كيف سيأتون . لقد سمعت عمي أحس ليقول « الله الشار » بالخط
اليوم زيادة عجبة ذراع وصعدته واحدة « الله الشار » تذكرت ذلك أيضاً نفس اللحظة
فأجبتها :-

- لو تأجل الصرة بعد يومين ثلاثة أحس .

- يومين ثلاثة لأأس الأحسن الأسوع القادم ها ؟

- عال جداً ... انفضنا .

وانشر الخبر في اليوم التالي و مرة أخرى كان اليمض يستعيدون (يوم الجمعة) وفي

العصر حين عدت للبيت رأيت أن مياه النهر تنفذ بشر مستطير ... فما أسرع ما ارتفع الماء حتى لم يبق ما يقصده من السدة سوى أقل من لثمة ... كان النهر يبدو عريضا جداً كما كان في أيام أناسي تماماً . ولكنه اليوم يجري مرعداً مزهداً وقد استحال لونه الأزرق الصافي إلى لون الطين الأحمر وهذوؤه حين كان ينساب غداً وفراقاً في الصيف القلب إلى هدير مرعب الشد ما شعرت بالخوف بهري وأما ادخل البيت وهديره لا يزال يتر في سمعي وبعد الغشا كت أقرب من النافذة التي في الآخر الذي يبدو مظلماً كالهم . صامناً كالأس . . . وحدث كاتبة . . . وسمعت عني يناديني .

- عمه : سمعت شرقة العيضان ؟

- لا عني حد خمس دقائق

- فقال حبراني بعد ما انتهى من الصلاة

- طيب

وسمعت شرقة العيضان ولم تكن بشر خبيث حتى المفيع كان يتكلم كالحثاف او هكذا جيل لي فلم يقل غير كلمات قليلة هزت كل اوتار العنق والحنف في نفسي ... « لانزال مناسب المياه يرتفع في اعلى النهر ... والدوائر المختصة مهتمة بأنحاء الدابير اللازمة ... وعمال مديرية الري يقومون بتقوية السداد الخ ...

واغلقت الراديو حين سمعت لعفا على السدة وفتحت النافذة فإذا عمال الري يحملون الاكياس المارعة و (المساحي) . . . ورحمت لعمي الذي ناداني فأجبرته بكن شيء وسألته

- لكن يا عمي هذي زيادة عجيبة ! في ثلاثة أيام يرتفع الماء بهذه السرعة ؟

- اهه كريم يا بني كل سنة يأخذ الشط حده وينزل في الحقة وحده هو النار .

كنت اريد الذهاب الى وهاب لمفتحة مسألة محي . الطلاب للسان وحكيمة

تديرها وما كدت امضي خطوات في طريقني اليه حتى جئتني عبي في النافذة ارسله وهاب

الى يطلب حضوري عنده لانه مريض واسرعت اليه . كانت حوزة مرتفعة لاصابته بالتهاب
البلزتين الحاد . وفيما كنت حالاً نومه سمعت طرقاً على الباب فاندس وهاب وقال لي :-
تسمع ؟ هذا ابو زيدان . جاني يا شفيق . اسمع صبح ويدق جرس المدرجة
وسمعه فجاء يصيح :- يا العجن يا حصوفا . ثم شرع يدق جرس المدرجة التي يتقل
عليها في اذنة المحلة الى بيت المرحى . وأقبل الرجل وكان قصيراً اسمر البشرة في حوالي
الستين وقد مبع الشيب رأسه ووضع حقيقته على الكرسي الذي تركته له ثم أخرج ادواته
ومع ان انتهى من حقن الدواء نظر الى وهاب وصحك قائلاً : اضحك اضحك

بسيطة الصبح انصبر من الابد وابسم وهاب بغير - اشكرك ...
ولكن الرجل عاد فقال لشكري :- هه ياربت كل الناس شكري . انصبر واروح
وأجي واسهر للفجر ونالي صبر حتى من (اشكرك)

فقلت له : لكن الفضل ما يصح

- تمام عني تمام . لكن اريد انبان . وكلهم مع ليس وكلهم يسكنر عليهم
اني صاحب وجدان . الفمخ ما عنده احد غير الله . منو عنده وحين اقرب من وهاب
وكنت بحانه سمعت راتحة الحمر من فمه مدحشت كيف يستطع وهو سكران ان
يؤدي مثل هذا العمل من غير احتمال للخطر وكنت شعوري حتى اضهر بالحقة وبعد ان
اعاد ادواته في الخفية التفت الى وهاب وقال - الله يعافيك ولم الخدش بك وبينه موسم
لكن هو رجيم . وودعته الى الباب وفي اليوم التالي سألت وهاب عنه فأخبرني انه مدمس
على الحمرة منذ أيام شابه ولا يستطيع ان يواجه الليل لا يقبله الحمر في حبه ان أهالي
المحلة يحذونه كثيراً . وهو لا يتدورح ان (يفظ) بوجه أي كان في القيوة او الشارع
من غير أن يترعج منه أحد .

وفي الصباح عند ذهابي الى الكلية وكنت في سيارة (الحص) الاهلية الصغيرة
التي كثيراً ما يصطدم رأس الراكب بسقفها وهي تسير في الشارع الوعر وكان الركاب

يتحدثون عن « الشط » الذي اخذ يهدد الناجية كلها فسمعت أحدهم يقول لصاحبه بلهجة
فلاحية :-

- صبح يايد نص ذراع الله الماتر
- والله سمعا النارحة يكتولون الحكومة راح تكسر الداودية
واشرك ثالث معهما وكان حالاً في المقعد الخلفي فأجاب :-
- كل سنة هالساكين طابحين بها بررعون ويتمون ونالي بالشط .
واذا ماخر يتدفع بحماس قائلاً :-
- والله العظيم هالمره راح ينامون على الداء ويموتون أنفسهم ، هالسنه زرعهم
جاوب :- والله حطية شنو ذبيهم

« اعترضه آخر » .

- يعني قابل نمرك كل الناس أحسن ؟
فأجابه المتحمس بهيبة .

- لا ... كل سنة يزيد الشط واكسروا الداودية ويزيد الشط واكسروا
الداودية . هذا أحسن ها ؟

بمعني هو اوادم ؟ تمهم وزرعهم ناي دين بروج بالشط ها ؟ ... وكاد الجدال
يضمور الى معركة فيما كانت السيارة حير متراقصة فوق ارض الشارع وكان بين الركاب
الذين يزيدون على العشرة رجل من كل صامت لم يتدخل الا حين كادت العاقبة تسوء
فقال :-

- عني كيفكم ياه ... عني كيفكم ... الحكومة تعوضهم بمصر نخلي الناس ربي كما
حقتي .

فأجابه الآخر ساعراً . تمام !!

ووقفت السيارة ليبرل عنها أحد الطلاب واذا الضمد (ابو زيدان) يصعد اليها

ويصر الجوع الذي بدأ يتكهرب (بمضاته) المتناعة وتماثلت القهقهات والضحك ومرت سيارة تحمل عمال الري فأرسل أبو زيدان غفطة كانت من الغفط حيث نظائر الرذاذ من فمه الى وجوه القرييين منه واناسهم . ثم قال كأنه يودع عمال الري الذين ابتعدت بهم السيارة « كل ما دجلة فاض وزاد احدكم سكوم سوي سداد » . وكنت أسمع تلك الكلمات من الراديو فلا تنزك في غشي شيئاً كما تركته حين انقاس أبو زيدان بأسنوبه الخامس وانبعث بغطته المعهودة . وقصصت على مديحسة كل ذلك ولكنها لم تضحك بل صمت قليلاً ثم قالت : « صحيح من حقه » هذا علاج برجوازي .

وكانت تقصد أما زيدان بكلمة (من حقه) ولكني لم أهتم « برجوازي » هذه وطالعتها مستمناً في بلاهة صاعته فاستدت .

« الناس يعرفون أنه علاج سخيف يعرفون جيداً أنه لا يعيد » وظلت الكلمة ترون في اعماقي تاركة تغيرات باردة ما نلت أن تموت . لقد مرت هذه الكلمة أمامي في سطور بعض الكتب التي قرأتها هي وغيرها من الكلمات مثل فانتية . مكابدة شوفينية وغيرها وكنت أقف قليلاً أمامها ثم استعجلى ورفاً واضعها في سبي املان اعرف معانيها بالضبط . أما ان تستعمل هذه الكلمات بمثل هذه السبيلة وكما استعملتها مديحة فهذا ما اشعرني بأني لا ازال صغيراً نافعاً . لقد اخفيت عني حيل الحقيقة مداسي مثل هذه التعابير وما كنت اعرف أن اللعب الحقيقي هو أن اجعلها . وحتى وهاب حين كان يتحدث تمر هذه الكلمات على لسانه سريعة من غير أن يسألني مرة هل اعرف معانيها وقد دفعني ذلك الى البحث عنها بنصي .

ورغم ان موعد الامتحان كان قريباً فلم استطع انذاكره بعدد أن رأيت عصر يوم مياه النهر تطفح على سطح السدة كلها متسمة خفيفة وكان أبناء المحلة يعملون مع عمال الري . يحضرون التراب على دوابهم وبعضهم يملأ الأكياس الصغيرة ليضعها الآخرون فوق حزم الحطب وكان ذلك عملهم الوحيد لصدد هذا المارد الجبار . وخرجت

لا يرى ما يجري فوقف مسنداً ظهره الى الباب . كان النهر يبدو عريضاً كالبحر وقلت في نفسي أليكون العنار صير هذه الأرض اجنية الطيبة ، والبانين ، والغارغ ، ثم الناس ابن يذهبون وكل بيوتهم من الطين . والقصور هنا قليلة وكيف تستع كل الناس وهم حذالي المشرفة الآن . كان الخوف يرسلني اشباح التشاؤم المرعبة ! الى اين يذهبون ولما يظنونهم من ثلاث جهات وعداد .. بعدة .. جداً وماذا يفعلون في بعداد الصاخة الالهة التي تركتها عصر البهيم غير آبهة بدمه القلوب الواحفة والهجوم الشاحفة .

.....

كانت بعض السيرة جالسات على الشدة وكأنه يظنون الامواج المتلاحمة ويتصرعن الى الله بأدعية كثيرة . وكانت غوامض الجسر الذي رفعه الانكليز لإنهاء الحرب تبث الفرع في القلوب بذلك الهدير المزعج الذي ينسب من حنظل الماء المدفوع بعنون . وانطلق من الجامع القريب صوت المؤذن للصلاة الغروب وكان البعض ينقص يديه من التراب ثم يذهب للصلاة وسمعت رجلاً عجوزاً يقول لآخر :-

- والله يا حاج الشغل يخوف اليوم !

- الله كريم يستغنى بستره الحميل . وبين فردح العالم ؟

- الله كريم المكروب مامن مهرب برحمتنا برحمته الواسعة سبحانه الله . بين سنة

وسنة . . . فادر الله .

وسررت بأقرب آخرين وسمعت أحدهما يقول لصاحبه :

عباس الامر بيد الله لكن اكل ثيش بسنة الى الزرع عدي يجاوب يزيد

الشط . وشجبل .

مهرة صاحبه قائلاً :-

- لا تكسر . لا تكسر . . قابل انت وحدك ! ثم الله يريد بضررك ؟ حاشا .

- لا لا صدك كل سنة ، فطبخنا زعم على مخالفة .

- يعني تفكرت ، برسته من ريك بدمني لا تكلمه علي من

وعدت الليك لاستمع لشرف الرفض من اراديو . وكان عمي يحاول ان يخفي
عني قلقه بصفته المظنق وهو يتحجج بين فترة وأخرى . كانت الساعة او حدة بعد منتصف
الليل والاراق لا ينعك يلفني من فكرة الى فكرة وانما اصمي للحراس وأفراد الشرطة الذين
يروحون ويحيون على السدة وكانت تدهي الي سمعي صيحات من بعيد لا تلت أن سموت
في خلاء الليل المضطرب من هدير عوامات الجسر وفجأة سمعت طلقة نارياً حسنة من قبل
الأمير في السمانين ولكن مالت أن تفتح طلقات أخرى متعددة متوالية كأن معركة قد
تفتت فارتجفت فالي هلعاً واشعلت المصباح فإذا عمي يسوي .

- محمود وين رابع

- اريد اشوف

ولكن روجته شرعت سكي وتوصل الي لا نطلع بأني لا نروح عمي الا اني
رغم الحاجهم اريدت دلاسي ، كان صراح النساء قد بدأ يعاق من هنا وهناك ، صكت
أريد ان اذهب الى الشارع كي استعني امر الا ان عمي الح قائلان
- ابق هنا لا نطلع ، انما رايح وارجع عند شوبه

ومرت دهائق واتا عويل الداء بطمس على مدير الامامات ويرتفع صديح المارات
في الشارع القريب وأحد الناس يترافكون وهم يصيحون : كسرة كسرة
كسرة كنت أريد أن اعرف من أية جهة حدثت هذه الكسرة ولكن من أسأله حين
يمر بي يجيبني « والله ما اعرفي عدد » ولكن عمي يسمل ويخوفل وينمود من الشيطان ويحرك
كفيه بصفهما وقول أن أسأله قال : -

- انكسرت المدة من ظهر السنين ، لكن سبعة الله كريح النار ركضت

لها

— وإذا لم يسمع بعني —

— لا ... لا ... لا ... الله ما يحيي من مخرج سبعة ... سبعة ... سبعة ...
 و " ظهر السائل " هو حاد النهر الذي رأته مع الضلال يوم السفرة ورأيت
 قوة استعداد الماء بعد أن يمتلئ من الحماض (الدورة) حين كنا نطفي على النار تحتها
 أرض السائل مغطاة جد وسنك الهلع فلي وأنا تصور الماء يتغير حجم السيوت بعد
 أن يحتار السائل بسرعة وخط عمى أي أرصف معادن أن يبدى من روعي ولكن طرقت
 على الباب المسدود كان الناس يحملون أطفالهم وما حف من حجابهم وهم يهرعون إلى
 القصور المحاذية للسدة حيث يستعني بشخصياتها هناك سنة القديس . وكان تحويل النساء
 وكما الاعمال والآلاف الأسماك والدماءات تحت كنف فتك الإنسان في عوامة عذبة
 من الخلق والخبرة مع ذلك فقد أحدثت أوعى وروحة بقلب أثاث البيت حفته فوق
 بعض تسع الخمر " قلبه للملاح التي تذا الخضر مدعورة نعم ما .

ولأولئك الأكر تلك الملاح " المسفة التي كانت حروف على المزاج واليساكن التي
 سلف أنماها والبيوت التي ستهده . وفي سائر الساعات الغلائل انزكت أشيا لم تكن قد
 مرت على حين سمعنا امرأة تقول روحها .

— أبو محمد ليس تحت السمين —

— السكي بانه أبو روح وأرواح السمين أوجب —

وحين دخلت في تلك السعة امرأة عجوز يحملها رجل مضج على كتفه . وأمامه
 صبي فوق رأسه فقص مذاخله ذخاوت . كان يدعو له طوال العمر والتمريق وهو يجيها
 صاحبها " الذي سيأرواح أحبه " فحاشه " لا " لا يسي لا ما عندي شيء ... الله
 به تلك الله يحفظك " . وأولها من على ظهره أنه قال لي " من فضلك أفتدي مساعدتها .
 ما عندما أعود " . وأخرج بسرعة الفد فبها كبر العجوز تردد وهي تروح . فانه التي غير
 البيت بأحد ربي وأرجع روح به جدي ربي فبعت يوم بعد أنها هبنت

ولديها حار ومحمد بعد أن مرعهما السل وهما في زهرة العمر ... وفدت زوجها الذي مات حزناً على ولديه ولم يبق لها من وسيلة للعيش غير هذه التدراجات التي حرص ذلك الشهم على احتضارها معها. أنسى ذلك؟ كيف أنساه؟ وكيف أنسى ذلك الصاح حين أشرقت الشمس على مئات الناس وخيولهم كمشردين أجتهد من وطئهم حرب خروس وهم متكديسون على السدة وهدموا من ملابسهم سائر كيوت الشعر لينتروا بها وكيف أنسى العمل الذي قاموا به مع الشرقي ... حين جعلوا من الشارع الضيق الذي اشق القرية إلى نصيبين خط الدفاع الأول والآخر بين الماء الذي كان يكسح مير كائنات كل ما عجزه النقي بصاحبه من الجهة الأخرى وكأهم جيشان متصيران يمينان احتلال مدينة أم الملاحون والعمدان وأخوتهم وأولادهم فقد نشأ الجيش الزاحفة !! وكان الصراع مستمراً حتى العروب والماء يجمع ليضغ نعره في السد الصغير الذي أقاموه على الرصيف لسحلولائه وبين النهاية المحتمة ... الموت.

وفي تلك الليلة أعلنت العصيان على عمي مرغماً وذهبت لأحسن التراب مع وهاب وجماعته. كان العمل مضمناً بطريقة حشمتها ظروف المعركة فكان سكان كل فاق يهدمون بعضها من بيوتهم لتقوية السد على الرصيف، الرجال والنساء الغدازي والأمهات، والصبيان وحتى الأطفال والزغاريد ترتفع في الفضاء مشجعة على المقاومة. وكانت البيوت تتهاوى في الجانب الآخر من الشارع ومن بين السالين نازكة دويلاً هاتلاً ويرتفع عويل من هن وهناك ثم نغمة زغاريد كأنها تصر على سلامه تنق من البيوت التي اكتظت بكل ما يملكه أهل القرية.

وأشرقت الشمس في اليوم الثاني والشارع يبدو من بين أشجار الكافور على حارسه كجدول لطيف وكان لابد أن يكون السد الصغير الذي أقام على الرصيف مستوى السدة الكبيرة في الارتفاع ولقد تم له ذلك وحسروا. وكانت الخطوط المتفرقة والشارع الكرم الذي قد انقضت والى بق من سرق غير السدة التي أقامت عمي وبعده ذلك فقد

توارثت الآباء بأمر الحكمة كسرت حدة "الدودة" وسحقوا مستوى الماء لقد سمعت
ذلك وأنا أقول بطوري مع وهب وجماعته ، كانت النساء تحمل إلى العاطلين القدامح
الشاي والخبز والخمر أيضاً مع الأولاد الذين

انقضت عن الذكوة السبع كمالاً ، وحين أخذ (العدو) تراجع أخذ الناس
يفكرون من حذره في أشياء كثيرة ، كانت دور على أنهم كلمات في اليوم الرابع
عندما أجعلهم الكبر التي توضع الزاوية بين المذبح من الإلهام وكان قوياً
منه رجل يقرب الخبز ويضعه تحت عنقه ، وحافظ عليه

و رأت الخوف على جسمه من شدة الخوف من زرع وراح الزرع والبيت
وحاولت أن أجعل حبه وثابة بغير وعظه الخوف مقصودة نحو الزاوية وكانه
مخاضه اسأله فأخبرني

" هجعت به ، لقد بوجده بك ، " ثم التفت لي قائلاً : " راجع ، هو المهديس ؟
سواء الماكل في " حبر على الأقدام " هذه اليوم

وكذا قد سمعت في تلك الأيام أن سب سكتا المذبح من أن أحد المهديس الذي
أعاد أنوب إحدى التماثيل في الماء الطاهر من القوام الذي تركه أنوب بعد أن
أمر المهديس برفعه وكان أن هب المرد الأسعاري عن القادة .

٩

ودعيت للكتابة وكانها عصف ما بعد مكتب عن القبط الذي أخذ يودع خذاد
بعد أن غرقت (الكافة) وكانت تحت : " السمات " ثم شيء مما جرد الله سحبي
وبصري عند أحد غير الخلاء عن التوبيصات ، ثم رحت لمدينة وبعض الخلاب كل شيء
وكان النقاش يخدم حول مسألة المهديس الذي قيل أنه هرب إلى باريس كعادته في حينه
ذهبت إلى الكلية بعد أن خلعت ورائتي وجوها مصفها أحزن عبوس دائم وعيوناً

بأكية تلاحق حطام الدولت فلو لم يبق فيه شيء بقيت كعبه المستغاث واولئك
الناس الذين كانوا يأبسون حتى مما كانت السمكات تقدم لهم من غذاء . كانت بغداد كما
عبدالها او كما كانت قرأها وكأني كنت أرحم أبا ابي واسمع من بغداد كل ما يحدث في
معاد على الاكثريات ولكن لا . لقد كانت لأمم الالة صفة تطالع في كل خطوة حثونها
الى الكفة . وكان رواد الحية يراكم شيد فسد على حزنه . الا اني بعد ان قرأت الحاجة
الجريدة التي اعتدت قراءتها من الفضل . اخضت وكأني كنت رائدا . كانت الحرارة
المسقة من السطور الشد والوبى من الشمس والاما كفى حشرت في تلك الحادثة احاديث في
عواطفه وفي تفكيره . لقد كنت اجهل شيء كثيرا . ان . بعد ان لم يكن في الجريدة كما
توهمت اول الامر .

وكانت في الامم . من الظلم كانت مدونة . بعد من المواقف المشرفة التي
وهي الناس صالمة اذا بحث بقول . بعد من المواقف التي تم تحت يدك من شقة
هاتمة بعد . ولا يستطيع ان . الامم الا ان كل . يصحني الماسك ان الناس أخذت
كل شيء . بعد ان انفتحت . الامم . بعد من المواقف التي تم تحت يدك من شقة
فلا يزال .

- نيل مسألة الخاء في راجع انتهى .

قال ذلك . بعد من المواقف التي تم تحت يدك من شقة . بعد من المواقف التي تم تحت يدك من شقة

لا ينبغي ان .

- سمعت نيل .

وأجاب ضاحكا .

- طين واحد . سمع . الخاء على ذلك الخط .

ويجب ان .

- كل حلوياته تصير بالعطش ويعبروننا من

قطاطه نالك بمرح

- والله العظيم لازم ناكل حلويات على حبيب واحد ياهو ...

وكانت الكلبة ظهر ذلك اليوم وأنا أسأل غسي سلافة . متى تعرفت به ؟ اني لم
أرها في الكلية معاً الا نادراً . وفي أكثر الأحيان كانت معي . فريسة مني تكلمني ...
صاحكة مرحة بهذه الدرجة أحبه ألم تعرف أي أجهل . أنكون حدعتي بهذه
الطريقة اللثيمة أتقتلي بهذا الأسلوب القصدت لي هكذا من فوق أن يعرف أحد ... لا .
وفي المساء كنت أفرغ غسي والبهمة . فإذا لم أفض لها بشعوري فإذا لم أبع لها بحبي
وبها لم تكن تصرف عن أحاسي شيئاً ولكن عدت مرة أخرى وإذا لم يعلي في روحي
ورشايت حيث يتصارع في فكري المشوش حتى تميت لي أختها . أو أقتل ذلك الطالب
الذي لم تصور يوماً أي ساقضي الليل وأنا أقتن في التفكير بأساليب حرمانه من الحياة .
ومع انقصر إذ تاهي إلى سمعي صوت المؤذن تركت فراشي ومضيت إلى المكتبة كنت
أريد أن أربح أعصابي قليلاً أن لا أفكر . أن أعد عي تلك الأشباح السود التي
ظلت ترسم في الظلام أمام بصيرتي وامسكت القلم لاكتب لها شيئاً وسودت أكثر من
ست صفحات ثم مزقتها وعدت أكتب من جديد وسمعت عني يناديني وهو يقول :-

- محمود . ما سهران أش ؟

- قل شبه البهت والاعتعال قريب وأريد أدرس .

- لكن السهر يضرب بصحتك اني .

ولم أذهب إلى الكلية . بل رحت أدور في الشوارع المزدحمة وحين وقفت على
الجسر رحت أفكر إلى شيء الحمراء والريد المنفوع مع الأمواج بسرعة . ولم أفكر تلك
البحر أن البحر أهدأ من كنت محول حبك أن سلط الرسلته . لا . أن حب الحياة

لا يموت في الانسان بعد الموت ... وحتى الجسد الذي يبر من أهم الله المشاكلي
يعادولون الارضاء في احضان الموت ... حتى هؤلاء ... ما يعودون ليقوموا بالرغم
منهم ان الحياة غالية ... علامة يتخسر الانسان منها ... أقدم ... قبل هي ؟
لكم يكون الجسد نافعاً بعد الموت ... بعد موت حتى كبره في المستقيم وفي قاعة الشريح
في كلمة الطيب ... كما يعم علي في الثمرات الأولى انما فيها ولكن العادة قلت في اعدائي
كل شعور بالخوف من راحة السكوت ... انما الاحساس أهمية الحياة ... لا يزال حسني
الى هذه الارض التي صيرت ادراك معنى قدسية حياتي عالياً .

كنت أسير في طريقني الى الكنيسة ... ان ركنت وراءني الحزن ... والذوايح
المتلاطمة ، الزبد الطافي المدفع معها خلف

كنت أسير ، واستعد في خاطري لسطور التي كتبها لديعة ... كنت مصمماً على أن
أن اعطيها الرسالة بيدي ... وانا احسب اني حزين ... عسى أن تسألني ... وصلت الكنيسة
قبل ثالث محاضرة ، وما كنت أدرك الذي ... اجلس متعاً لا يوحني متفهمي بمسير انهم
والباس حتى ألفت مديعة جوي وانصري من غير أن نحفظ شيئاً ... في وسعي .

— محمد ... استعد ...

ولم أنها بل اسمعت فقط لكنها عادت فقلت نفس المرح ... حسن الاسرافة ...

— أسمع ... لآدم يحيي قبيحاً يوم ... يحيي لآدم أحد صاعقة

— أي سبيلاً

اللمحة القوية راس حفة سمائية ... والقلم ممتاز ... انشأ في شاطئ يحيي طبعاً هالاً

— طبعاً صمد الطافات ...

— بهجت يوم حداث وجدده

— بهجت ... أي بهجت ...

وصحكت وهي تقول مندوحة :-

... بعد أن تعرفه على كل حد راح نعيد لك واحدة عندك ...

لحظة واحدة

وتركت كتابها معي ومضت كأي بي بالندفة وأسرعحت قدست رسالتي بين طياته
وما كنت أشاؤل المظافة منها وأخطأ الكذب حتى مضت لو أن لي مسودة خارقة
هأحتمى أو أقفر من مكاني عن راية الكلية حيث استطع أن أحتمي في زحام المدينة
وأخرجت من المظافة من حسي فإذا بها تقول مستكرة :-

لا لا هذه المرة على حامي

وأخبرني مستعرباً لمحة منها

شكراً

بيني ترفض أن أقول لك على حامي

ودق الجرس وشرع الطلاب يتجهون نحو فاعات الدرس كنت أستعمل الدقائق
لا أتمد عنها وحينية أن أحسن بوجود الرسالة في حضوري ونكتها مضت بعد أن شكرتها
سرعة وبدها ممسكة بالكتاب حرمي أو هكذا جئ إلى . كنت أحس أن بقلت الكتاب
من بدها أو تنزلي الرسالة على الأرض !!

ما أكن أرى وذهب كجأ في تلك الأباء وكنت استعرب منه التهرب من الجواب
كلما سأله عن سب نبيه يومين وثلاثة من غير أن أراه لا في القهوة ولا في البيت
وفي عصر ذلك اليوم لم أراه أيضاً واضطرت أن أذهب وحدي لاسيما وعندما
وصلت كانت صانه السبعا مكتظة بعشرات الشباب كان أكثرهم من طلاب كليتنا وكانت
وجوههم المعض الأخيرة عريية عي كانوا واقفين على رصيف الشارع أمام أبواب السينما وفي

الممر المؤدي الى صالة العرض ، والتقيت بواحد من طلاب صفي صعدنا سوياً الى الطابق الثاني حيث كانت تجلس مديعة وجوارها هجت ذلك الشاب الذي كدت أجن ليلة أمس وأنا اعمل ذهني بحثاً عن وسيلة لقتله ، وما كدت أراه حتى عاد الدم يغلي في عروقي وشحنات من الألم والشقاء تكاد تنفجر في قلبي وعن لاسي واغترنا أنا وصاحبي من صف المقاعد حيث يجلسان وكان المقعد الذي على يارها خالياً وحيتها وكدت الحق صاحبي الذي سبقي عجلاً الى بعض المقاعد الخالية ولكنها أشرت الى المقعد وهي تقول انفضل اقعد وجلست من غير أن افكر لماذا وكيف ؟ وكأنني سببت الرسالة ونسيت هذا اللعس الذي بجانبها اللعس الذي سرقها مني فسرق هنامتي وراحتي الى الابد كما كنت اعتقد ، ومضت لحظات حرجة لانني لم ادر ماذا أقول ولم التفت نحوها بشأناً ، لحظات من تلك التي تطوي في جرباتها هموم الليالي وافراح الايام والتفت فجأة اذ سمعتها تقول له :-

- هجت أنت ما تعرف محمود ؟ أنظروكم

ومد الى يده مصاصاً فيما تقول هي :

- الاخ محمود

- الزميل هجت

وبسرة سريعة احتطفت من وجهه كل المعاني التي ارتسمت على قسماته وهم يقول:

أهلاً وسهلاً

وهبت في سمعي :-

- محمود أما قرأت الرسالة ولازم تناقش بالخصوص

م نعت ريفي وأجبتها

حاضر

- ولكن يظهر لك محبي كثير

- أنا ؟ لا أبداً لكن
 - على كل حال لازم نتناقش في الموضوع لكن العمية غير مرجحة .
 - أعتقد ان الرقابة حدثت من الفلم ككثيراً
 - طبعاً ما دامت القصة ممتازة ماذا توقع ، لابد من الحذف ..
 ولكن العمية التي ننتهي عن الارتقاء في أئونها عادت فألهت أعصابي فسمرت
 بدوار وغادرت السينما بعد ان اعتذرت بأبي سوف أععود ولكن مضيت مضيت
 الى البيت .

أيمكن أن تصور أحد أنها ستواجهي بتلك البرودة وقلة الاكثراث ؟ أنا الذي
 أعدت كتابة تلك الطور اكثر من عشر مرات حتى العنوان « زميلي المحترمة » وحذفته
 ثم « عزيزتي مديحة » وحذفته حتى استقر قلبي على النعم الهادي . الذي نزمه تلك اللفظة
 الحلوة « حبيبي الغالية » لقد خاطبها « حبيبي الغالية » هكذا ... وماذا بعد ؟ قلت لها اني
 احببتك منذ اليوم الذي رأيت فيه وجهك المدور المضي . « منذ اليوم الذي اضاءت ابتسامتك
 ظلمات نفسي » منذ اليوم الذي عرفتك فيه واصبح له في الحياة أمل . .

نعم لقد كتبت لها ذلك وكتبت ايضاً ان الحياة لا قيمة لها في نظري اذا فقدتلك بل
 لا اتصور أنني سأستطيع الاستمرار في الكتابة . لقد سمعت من الطلاب شيئاً عنك وعن
 بهجت حين دعاك صاح اليوم فيما كنت معنا فما علاقتك به ؟ هل صحيح « أنأخلى عن
 قلبي الى الابد ؟ ربما سترعجين كثيراً لهذه الكلمات لانك لا توقعتينني ولكن ماذا
 اعمل ؟ ان هذه الرمالة هي الطريقة الوحيدة لاتخلص من الخجل الذي يسيطر على لساني
 كلما اردت مصارحتك على كل حال انا اثنى لك السعادة اذا كان صحيحاً ما سمعت
 ولكنني لم اتوقع نهاية الحبي مثل هذه . ولم يكن قد بقي للامتحان سوى اسبوعين او اكثر
 قليلا ولكن لم يعد الامتحان يشغني قسراً ما كنت افكر في الملاحظة التي أبدتها ذلك
 الطالب حين قال « كل خطوباتهم نصير بالعطلة » ولم اذهب للكلية ثلاثة أيام متوالية وكلما

سألتني عمي أو زوجته اعتذر لهما بأن الدروس صعبة وأما كباقي الطلاب تنقطع للمذاكرة...
ولكن كذبي كان واضحاً... لقد بدأت صحي تدهور.

كنت جالساً في عرجي حزناً معذراً حين طُرق الباب في العاشرة مساء طرقات حميفة
ونمت فأتانا برجل يرتدي العمامة والعقال ويحيرني بأسمي :-

- مساء الخير محمود

- أهلاً وسهلاً

لقد عرفت صوت ركني وفتب الشعر في حمدي وكذت اشتق دهشة لولا أن تابع
بسرعة :-

- عرفني ؟

- أي عرفتك بفضل

كنت انطلق في وجهه لاني زكي صديقي السمين فإذا برأمام رجل يبدو في الستين
في وجهه غشون تؤكد عليها لحته الطويلة وشاربه الكثيف وجسمه الذي يبدو مترهلاً مكراً
وضحك وهو يقول سأبقى يومين هنا وأذهب وعليك تدبير المسألة ماذا ستقول لعمك ؟
فأجته وأنا لا أزال سبب المفاجآت والدهشة :- لكن ماذا حدث ؟ ... وأجابني بهدوء « يعني
لازم الواحد يظل محبوباً بالقصر حتى إذا كان بإمكانه أن يكسر القصر ؟ لا ... »

كما تكلم بصوت خفيض وكانت انفاسي تلاحق ودهشتي تزداد وهو يخرج أكوام
الملابس التي لفها حول جسده ليبدو سمياً وبعد أن غرز اللحية المستعارة التي كان يبدو بها
وكانه شيخ متدين غيور .

وسمعت عمي يتأدبني

- محمود من دق الباب .

قلت متلعثماً :-

— جاءنا ضيف من الديوانية —

وهمس زكي مضطرباً أخست : « وأنهي اللباس الشريفة تحت (التفتة) وعلى كما
راه عمي حين دعوته مرة فقص لي بين عدا ورحب به عمي أي نرحب كنت ارتعش
يساركي لم يند عليه انه هارت من سحر ابدأ كان ينكلم بهدوء ورواحة جاش ويرد على
نرحيب عمي شاكراً .

وفي الصباح بعد ان ذهب عمي الى عمله لم اجد بدا من مكاشفة امرائه بالحقيقة
والا فماذا يحدث لركي لو غادر البيت في النهار وراحت المسكينة تظلم وجهها وبكي
هامة لكي لا يسمع (الضيف) وهي تقول : « اذا عرفت الحكومة شتمل ؟ شسوي ؟
وامام الحاحي ورجائي ونجلي اضطرت الى السكوت بعد أن أفتتها أنها تستطيع الذهاب
لزبارة الكاظمين ولما اعترضت أن عمي لا يعلم وعدتها أن اذهب لاعلامه .

ومضيت الى الكلية وقد انحرت من رأسي كل الافكار السخيفة التي كانت تعمري .
مضيت وكأني أريد أن أحرر مديحة نكر ركي اوصاني أن لا يعلم أحد عدا امرأه عمي
وعمي منه اذا كان لابد اوصاني « هو يقول « ما يفي هذا بعد يومين أسبوعين
يومين »

ولم تعرف مديحة بالطبع « يمثل في نفسي وما يشغل فكري حين نادوني :—

— تناقض بالموضوع والا لا ؟

— اعتقد لو لي وقت آخر يمكن أحسن

لا لا أنت اعترضت بالرسالة تلك تنهي وانصح لي أكلمك به راحة :—

— العفو أنا ما اردت ازعاجك

— ازعاجي ؟ ومن اعزائك أي مرعبة بالعكس أنا مرحانة ؟ لانك شسب ضرب

وشريف والحقيقة اني كنت احسن منك شعوراً نبيلاً

لقد كانت صفة ركي شغل فكري كله وقت لي مة مرة :—

- الواقع أنني ما كنت أعرف أنك تعيش تحت دهرم بكر فأنتي لكما السعادة

- أنت تبدو محسباً مرة أخرى

- لا ... صدقيني أي است كذلك ... إنما هناك ما يشبه الإنسان غير الخ ...

- ماذا تفقد

- أقصد أنني أصبحت لك حبيبة شعوري في الزمالة ليس إلا أنني بعد أن فكرت

كثيراً ندمت ولكنني سوف لن أنسى لك كنت أول مصباح أضاء لي طريق الحياة ...

- محمود نحن منصفون والضرارة دليل على ثقافتنا أقول لك أيي لن أعير موقفك منك

- وماذا كان موقفك مني ؟

- أهلك شاب ممتاز وطيب وذاكر ما قاله لي زكي عنك

- زكري قال لك شيئاً عني ؟

- نعم زكري ... أنني لا أدركت احترامك كأخي ليس لأن زكي أوصاني بك بل

لأنك صرت انساناً طيباً تقدر الأمور جيداً

- العفو اسمحي لي ... ذلهم ما تمنين

- أقصد أهلك تقدر ... موقفي في قضية علاقتي مع زوجتي لأنك تستطيع أن تفهم

الأمور جيداً بنفسك ... أعتبر برسانك واحتفظها عندي ولكن على شرط أن يبقى أحسن ...

- طمأناً ... طمأناً لك ماذا قال زكي عني

- أنعمود مرة أخرى للحديث ...

- لا ... العفو ... لا أقصد شيئاً

- ولم استطع البقاء في الكلية كنت أفكر فيها فخرجت فوجدت أنني وجدت زوجتي

زكري يقرأ ... غير مكثرت لما قد يحدث له فيما لو طريق الباب شريطة ... ولقد طرقت الباب

حسب الإشارة المتفق عليها بيننا قد عدت قبل الظهر وكان وحده في البيت وكان ذلك اليوم

الاول في حياتي الذي تغيبنا أنا وزكري بعد أن علمنا انهم ... أفسد وكان قد تعلم العظمي

كما قال في السجن كان يتكلم باقتضاب عن السجن ومن فيه وما فيه ولم يشر الى قصيته ، الى اين يذهب وكيف ؟ ... كأنه لا يريد أن أعرف . وسألني بعد الغداء :-

- لو طرقت الباب الآن ماذا سأجد ؟

- لا افتح حتى نعلمي أنت

- واين ترى أحتفي

وضحكنا لأنني لم اكن اعلم حقاً اين يمكن أن يذهب وأنا لا اعرف أحداً من

الحيران . عاد وسألني :-

- ولو سألوك عني ؟

- انظري جئاً الى هذا الحد فأخبرهم

وهنف وهو يرت على كفي منشار .. منشار .. ما حاب ظني بك إلا انظري رغم

ذلك كان ينفق كلما طرقت الباب . لا سيما حين اعلنت امرأة عمي من زيارتها المباركة

عصراً .. حين جاء عمي أيضاً ورغم أنني اغلقت الباب من الداخل بعد العشاء إلا ان

الخوف كان ينش طمأيتي وان تصور ان الشرطة ستدخل بصورة ما وتأخذ زكي وتفودني

أنا وعمي الى السجن ... كنت هب الوسواس والاوهام والخيرة والخوف ، وفي الليل قال

زكي وكأنه مل الحديث عن نفسه :-

- واين وصلت انت ومدبحة

- ستزوج من طالب في الصف الرابع أسمه بهجت

- صحيح ؟

- نعم

ثم نأمت برودة وسحرة .

وبسبب وجهه ويحب ..

- محمود .. أظن أي حدرتك ، اتذكر ؟

- الحقيقة كنت أجهل عواظفي .. انها التجربة كما قلت لي حينذاك ... ولكن

رغم كل ذلك فأنا لا أزال أحبها لأنها شريفة يا زكي ... فتاة طيبة جداً .

- أتقول لي هذا ؟

- لكن زكي أرجوك ماذا أوصيتها ... لقد أخبرتني من .

وصمت قليلاً وإذا الباب تطرق بنف وجهدت في مراشي لا أستطيع حراكاً ولكن زكي همس في أذني سأصعد إلى السطح لأنظر من هناك ومن غير أن نسمع لنا حركة أو نشعل ضوءاً وكأننا لا نزال نرقوداً : صعد زكي ثم نزل وأخبرني أن شخصاً يقف أمام الباب عند ذاك استطعت أن أمد يدي إلى الزر الكهربائي وأشعل المصباح ثم لاقول من ؟ - محمود أنا جاسم .

وما كنت أفتح الباب حتى دخل خطوتين إلى الداخل وسد الباب بيده وهو يقول :

- اسمع ...

- ماذا ؟ قل

أخذوا وهاب قبل ثوية ويمكن تتحرى الشرطة يتكلم احذر اذا عندك كتب اذا

عندك اي شيء آخر

- طيب أشكرك

ورجع جاسم من حيث أتى وسألني زكي عنه فأخبرته وأوضحت له المسألة . ولكنه

قال مطمئناً :

على كل حال يجب أن أبقى هنا إلى الفجر على الأقل وسأبقى مركب بخساري

ويأخذني من هنا ... ما رأيك ؟

- سأبقي وكأنه يمتحن شجاعتي وجبرأني اذ لحظ ارتعاشي ولكن سؤاله كان محيراً

فماذا أجيبه ؟ أقول له فرحاً راضياً ... « ممتاز ... ممتاز » أم « لماذا تذهب ؟

ابق هنا وليكن ما يكون . لقد كان صديقي يوم كنت أمشي على أرض مائقة ولا ادري

لسداجي كيف أسير والآن هاهو يتعرض للاختطاف وأنا باستطاعتي عمل شيء ما ... اي

شيء ولكن ماذا أقول له ؟ وصمت كلانا لحظات كثيرة من غير أن أجيب فتابع هو قائلاً :
- التحري ليلاً لا يكون إلا في الأحرار الخاتمة أتدري ؟ وما دمت أما في هذا
البيت فلتتوقع ذلك كل لحظة .

سأرتدي ملابس ... ربما يأتي المركب فجراً ... وابتسم قائلاً :

- أنظر أي خائف ولا أريدك أن تبقى هنا .

ضحك ضحكة خافتة وأجابني ..

- لا ... ليست هذه هي المسألة ... لكن حين يكون البيت يتك أنت عندئذ

يمكن أن أبقى ... ثم إن عمك لا يعلم شيئاً . كم الساعة الآن ؟

- لكن إذا لم يأت المركب ماذا ستفعل ؟

- سأعورك في الوقت المناسب ... المهم أن تنام أنت .

- وأنت ؟

- في ظروف مثل هذه يجب أن لا ينام إلا نادراً .

- وكان الليل هوحاً ... كما نسمي بصوت إحدى المصحات الكبيرة التي تسمى

المازارع على الشاطئ الأخر ... كان صوتها المنقطع يتناهى إلى سمعنا مع السكون حزيناً

كمويل نكلى ... وكلما تجاوب العيس بصغيرهم المزيج تزداد الرعدة في جسمي ...

كنت أرتجف كالمنذون ولم ألاحظ مدى القلق الذي سببه لي تلك الحال التي كنت فيها

وسمعاً رثي المركب القادم يمزق السكون فالتفت زكي لي مبتسماً وهو يقول :

- لقد جاءوا ... أسمع ! خطفنا .

وي وسط النهر متر هدير محركات المركب قليلاً . وكان يورق خشبي صغير يندفع

في الفلام نحو الشاطئ . أمامه يتماسر عاً ... وفل أن يمضي لي كي كرر ما أوصاني به

بافتضال وذاكرني أن لا أنسى ما يجب أن أقول لمديحة ثم قال وهو يغادر البيت : أشكرك

سنتلقى يوماً .

ثم بليت زكى غير يوم ويلة وها هي الشمس قد أشرقت مرة أخرى وكن نبي
 كما كان أمس وبعد آلاف السنين وملايينها ... المياه المحذرة إلى الجذب والآفاق
 الماضي بعد ابتسامة الفجر وورقة السماء التي يحمل بوفها النعموس والمحجول منهم ... كن
 نبي كما كان أمس وركى لم يلبث غير يوم ويلة وها هي الشمس أشرقت مرة أخرى
 ولكنني لست الإنسان الذي كنته أمس أبدا ... لكنني حلفت أنهم من جديد ... كانت
 شموري تنهاني بتزايد والمستقل بدق أقدام حياتي كل لحظة ... وصدى كلمات زكى
 يتجاوب في أعماقي ... أناس ولا ... هدف معاد كان حي فقط يعيش كما يعيش الغار أو
 القبل ... الغاية ... الهدف ... الغاية الهدف ... من لا يستعمل عقله يعيش ولا يحسن
 كالغار ضعفا أو كالعين قوة ولكن لم يقل أحد إن الغيل أو الغار يصنع الحضارة ... الذي
 يقال هو أن أولئك الذين عاشوا لغاية سامية وهدف نبيل هم بناء الحضارة أولئك العمال
 الذين هندسوا عقولهم وعملوا بكل قواهم لنقل قيمة لأنسان من الوحش إلى أعلى وأسمى ...

• • •

ومضيت إلى الكلية لأشياء الأواخر مديحة بما وصيني به زكى ... البس من
 العجب نبي لم أشر تنهاني قبل ذلك اليوم حين انتفيت بها ولم يكن يعني غير أن أراها
 لأجبرها فحسب هي التي كنت لا أفكر إلا في انشائها وفي طراها وفي الموسيقى اللطيفة
 الممتزجة بصوتها ... هي التي سهرت الليالي تساهل حاشا ... وأضقت على سفير من الفنون

والشكوك والاحجية الشواء تعطي نصيبي . أما اليوم فما أسرع ما أخذ الدم يدهن كل
ما هو باع من أبي في مقبرة السال .

كان الهم يشهد عيني إلى الأرض ندياً زكي وكنت أكلمها وأما مطرق وصوني
خافت وهي لا تفكك نسريدي مائة . وبعد . وبعد . لقد هامل الحجل في نفسي كأي
شيء تافه كمنى الأيام التي صواها السيلان في مجاهله . وسمعتها فجاء نسبي .
أش اسكت . . .

ورفت رأسي طالعني بطراتها الفاسية إلى حيث كان أحد الطلبة قادماً . قلت :

— ماذا ؟

— احذر . . .

وافترقا في تلك اللحظة . مضى كل إلى سبيل . لكن ما أكثر التفكر بعد ذلك
حتى جاءت الأيام التي صرنا نتكلم عن الماضي كما لو كان يعني سوانا
أن أيام الحب قصيرة دائماً . أما أيام الكفاح من أجل الحرية فهي تاريخ أزلي .
وهي هي الزمن .

كنت أتكلم عن نفسي . عن ذلك الشخص الذي كتب لها الرسالة . ذلك الشخص
المعذب الحائر الحجول وكأنه شخص عوي تماماً . حتى كانت أحياناً تعذبك متعبه من
مفاتي الشدبة لذلك الشخص ولكنها لم تذكر الرسالة أمامي أبداً حتى كتبت أنساها لها نفسي فلم
أعد أذكر الشخص الذي كتبها . ورغم الصداقة التي توحدت بيني وبين بهجت فقد كانت
تتناهى حالة نصبة كلما رأيتهما يسيران معاً بالرغم من الانشغالات التي احتلت رأسي بأنني
يجب أن لا أفكر بالزواج منها لانهما سيتزوجان حتماً .

وفي الأيام التي نلت الامتحان كنت أفكر شيئاً فشيئاً على الاجوبة التي كنت اجدها
عها . لم اسأله إلى أهلي إلا بعد أن اخذت نتيجة الامتحان وكنت الذي في مستوى النجاح

وفي المدة التي ألتها بغير تلك المرحلة من سعري كنت أقضي زمني مع الإصدقاء الذين
 أعرفهم عليهم من الأصدقاء وأولئك كانوا يملكون في أحاديثهم روح وثابة إلى الحرية وعزم
 أكيد على العمل من أجلهم. كنت أدرك ذلك رغم سدة التسيب الذي يتحدثون به
 والاصبح الي ينفذون به. وكان عديداً منهم ساذجاً لكنهم سمروا في ألسنتهم كنت في بلدني
 لا أدري من حولي غير حاجتي إلى تفتحه وأخذته في البيت إلى القلاص وبشربها لي أتي
 واستمررت في الدراسة والمدرج. ثم ما عدا ذلك ولم يكن هناك شيء يشغلني في ألي
 العمل كما هم اليوم. كنت أذهب معهم إلى السنين التي أتعلم البصايا فقراً أو شاقلاً
 وفي بعض الأحيان كنت أذهب إلى معاد لشراء الكتب أو إلى السبعا وقد التقيت
 بعد بجه ونجحت مرة ومرتين في السبعا وكنت أعود بفقاري إلى أنوارها فإذا الحفظة تنجلي
 لي ووجدتني أحلق لها الاعتزاز ثمه عواطفني التي كان لا يزال يحسها. كيف يا ترى كان
 حامد وتفتت أن زاه حبه إذا لم يكن حتماً فهو منطعم فكل الوقائع كانت تؤكد ذلك.
 كانت ألتني تتحكم عواطفني فيما مضى أما بعد أن اكتشف في سحبت تحكيري، إذ كنت
 ألفت أبحث لأنه سرور وحافله أصبحت ألتني ألتها العادة بل كان شعور ما، يستطير
 عني فألتني أن يشرونها في أقرب وقت. شاد الحفظة التي كنت أبحث عن نوع العاطفة
 التي كانت سحبت السرور في عيني ولكني وجدت أجراً أن العواطف لا ترحم إذا
 اندرست الألسن: ألي لا تعبه محبت. لا ألتها منه غير كاريكتور بحبه لكنت.
 وبوه حالي بالبريد بظاهره دعوه حصص حفة عدد القمار بمرحت ودمت أيضاً ...
 وكان بعض الإصدقاء الذين أعرفهم في الكلية هاش. كانت الحفظة حائلة من اتفاق
 الاجتماع والنصح والبر. لا رياء بالثروة ولا نصنع للاتساع ولا تكلف
 للحديث ...

وعد كل تلك الآباء التي صفتها أنا أكتب ... عن عبي وعز مديحة وعن
تلك الأيام ولكني لم أكتب عن بهجت أبداً . بهجت التي أحبتك الأسبانة التي لا
أزال أذكرها كأني كتبت مقالاً في رجل عدو في أبحر في بعد في أحد إذا قلت أنه
كان عدوها وأنها لم تكن تعرف ولا أنا أيضاً . أيمكن أن يكون عدواً لها ذلك الأسبان الذي
كان يبدو مستعداً لأن يخاضع العالم سبيلاً لأحدهم . ذلك الثالث الذي كان يحب الحياة
والناس ويحب الحرية والمعدل : ويحبها ويكره أعداءها كما تكره هي الظلم والظلمين
والحياة . أجل لقد حدثها ...

أيمكن أن يحدثها رجل مثله وهي الذكوة التي تعرف جيداً لماذا لا يخرج أحوها
من السجن إلا ويبدأ إليه . أحوها الذي اعمرى أنه سبها إلى أمور حسنها في حينها
هبة لا أهمية لها حتى أدركت أحوها مكنم الخطورة فيها . أنا عيش بطرنا دائماً .

أجل بعد كل تلك الأيام ما أنا أكتب عن وعنها وعن الرجل الذي لم يرفع أن
يسخ انسأبته نعه أنه أن جذوره العميقة التي كان يستفي منها هده في الحياة هي
التي مسخته مما عاد يرى الأمور إلا بسطر مكابكي وقد شل أحوها حواسه وانتزع العرور
إنسانته ولم يبق منه غير مسخ مفيت . يكذب ويخس لكبي يحصل على المال
الكثير . أجل يفش حتى في عمله وهو صيدني . ولكنه وقد تنكر لكل القيم والمقاييس
التي كان يتوج بها وحونه . يوم تقدم إلى قلمه حبه . ثم بعد ينكر إلا بالمال . أنه يأبى
أن يتزع لمسلول بصف دبتر قائلاً تهكم . كل يوم مسلول . بينما يحرص على بدلة
(السوكن) وعن طبيب خاطم يقدم صف دبتر للمكوي . ونقول له هي . ونسكه
إنسان شريف ومريض يا بهجت . أنه مسلول فحبها : نسكي . لقد فات ذلك الوقت الذي
كنت فيه أساعد كل الناس . أنت زمني الآن وأنا لا أريد أن تتدخل في هذه المسائل ...

تروين أحاك في السحر : نعمين التبعناك للمسة نون وفي كل يوم اجتماع في بيتك
خاطره قبول وحقيقته أن لا أريد

كأنت مدبرة تشك في . وقد سألتها عن جرائها لبحث عن تدمره ذلك .. فصمتت
وزهرت زفرة مريبة وتألمت وهي تقول

- ماذا ... لقد صرحت بوجهه .. أيتها الخائن البشيم إن أراك بعد اليوم

- وماذا بعد ؟

- تركته للعش وللحفلات واللبال المال الكثير ثم أطلعتني على وثيقة الطلاق

ونابت : لقد خدعتني كنت أحسن محباً في أفكاره ولكنه كما ترى

- ها أنا أكتب بعد أن التفت بـ ... في عريش الزهرة زكي ... وكنت ذا هذه الزهرة
أحبها ... وسألتني بعد ذلك :-
- وأنت كيف حالك في هذه الأيام ؟
- والتفت إليها والآن بعلي في عروفي مما سمعته عن بهجت ... قالت :-
- آه ! في هذه الأيام السود ... سألتني ؟
- أقصد شعلك
- و... وانصوبين ... لا شهدة ... ولا شعل ... أنت تدرين اني فصلت من الكلية
- أدري ... أدري أه
- وسألها بعد دقائق من القمت :-
- أفكر بكثرة شيء : ماذا نقول ؟
- ولم لا ... أكتب ما دمت تستطيع الكتابة
- ولكن ما الفائدة ان لم أستطع نشر ما أكتب
- ولكن ربما يمكنك ان تكتب شيئاً من الممكن نشره
- هذا صحيح اذا كان عن الحب : وحتى هذا الموضوع لا يكون عنه شبهة حسنة
- وهذا لا تكتب ان شبهة حسنة ؟

- أنصحن لي يا

- أبا

- نعم أنت .

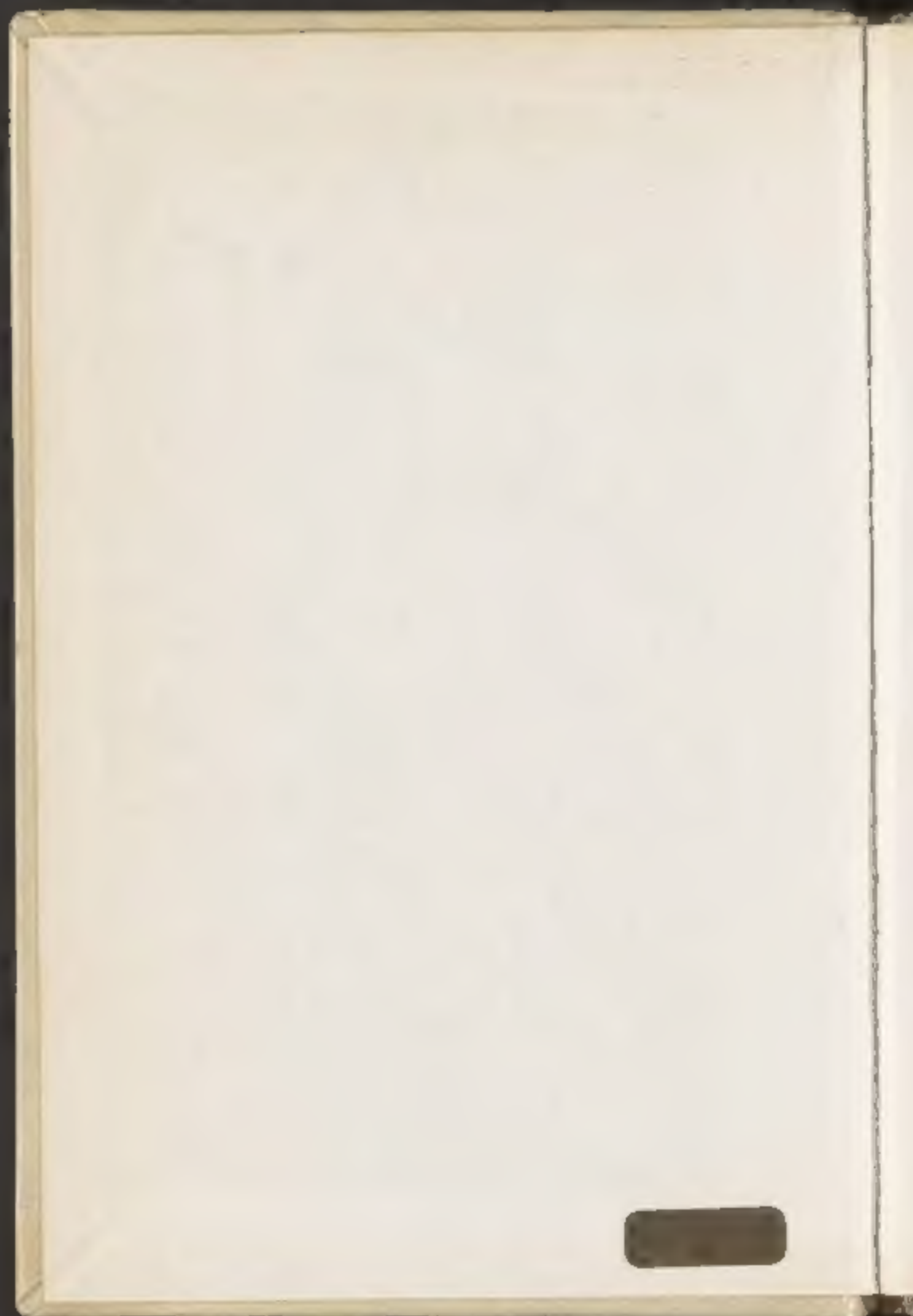
وظل القطار يسير وحس سعيد ذكريه ما يوم الحقيقة .

— انتهى —

PB-33188
5-25
ca

5





NYU - SCIST



31142 01517 3100

PJ7840.A2887 A9 1961

al-Ayyam a